فتحية مصطفى عطوي

مع المرأة في نهج البلاغة

الدار الإسلامية

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

مع المرأة
في نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

فتحية مصطفى عطوي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
١٤١٢هـ ١٩٩٢م

كورنيش المزرعة . بناية الحسن سنتر . طابق ثاني . هاتف : ٨١٦٦٢٧
ص . ب : ١٤/٥٦٨٠ . تلكس : ٢٢٢١٢ غدير
فرع ثاني : حارة حريك . شارع دكاش . هاتف : ٨٣٥٦٧٠ . ص . ب : ٢٥/٢٠٩

الإهداء

إلى سيدتي

فاطمة الزهراء

سيدة نساء العالمين

وإلى المرأة في كل مكان

... وزمان

فاتحة البحث

سورة النساء

نحن نفتخر بأن من
فيض إمامنا المعصوم
كان نهج البلاغة
وهو أعظم دستور
للحياة بشؤونها المادية
والمعنوية، وأسمى كتاب
لتحرير الإنسان...

من وصية الإمام آية الله السيد الخميني الموسوي (قده)

مقدمة بقلم سماحة العلامة
السيد محمد حسين فضل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد . . . .

لا يزال الحديث عن المرأة حديثاً يتحرك في أكثر من موضوع يتصل بالإنسان ، في طبيعته وفي تنوعه وفي حقوقه وواجباته ، وذلك من خلال التصورات المتعددة حول إنسانية المرأة في حجمها العقلي والروحي ، وفي صفتها القانونية ، وفي حقوقها الإجتماعية والسياسية والإقتصادية ، الأمر الذي لا يزال الجدل فيه دائراً في حوارات المفكرين في الشرق والغرب مع الفارق في المدى الذي وصلته المرأة في حركتها المفتوحة على الحرية في الغرب مما يختلف عن أوضاعها في الشرق .

وهناك حديث طويل عن نظرة الإسلام إلى المرأة في اكتمال بُعدها العقلي والإنساني ، وفي درجتها الحقوقية والإجتماعية ، وما هي الفوارق بينها وبين الرجل في ذلك ؟ بين اتجاه يرى في المرأة في الإسلام إنساناً من الدرجة الثانية ، وبين اتجاه يرى أن الإسلام لم يفضل الرجل على المرأة في المسألة الإنسانية ، ولكنه ميّز بينهما في الحقوق والواجبات في تفاصيل حركة الواقع الإنساني تبعاً للخصائص التي يتميز بها أحدهما عن الآخر مما يفرض على أحدهما مسؤوليات تختلف عنه ، ويمنحه حقوقاً تميزه عنه من خلال التنظيم الإجتماعي للوجود الإنساني .

وإذا تحدث الناس عن المرأة في الإسلام في البحث الفكري فلا بد أن يتوقفوا عند الكلمات السلبية المروية عن الإمام علي (ع) في حديثه عن المرأة مما قد يخيّل للبعض أنه عدو « المرأة » أو يتصور بعض آخر أن موقف عائشة من الإمام في حربها له ، جعله يتعقد من المرأة بشكل عام أو غير ذلك من الأحكام غير الدقيقة .

ولكن المسألة قد خلقت مشكلة فكرية معقدة في النظرة الإسلامية للمرأة باعتبار أن الإمام يمثل الفكر الإسلامي الصافي في حديثه عن المفاهيم الأصيلة للإسلام على مستوى الكون والحياة والإنسان لأنه يمثل الإنسان الإمام الذي عاش الإسلام في كل ذاته فكراً وروحاً وحركة وشعوراً وموقفاً وموقعاً حتى جاء الحديث النبوي الشريف فيه « عليّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار » و« أنا مدينة العلم وعلي بابها » الأمر الذي يجعل من علي (ع) المصدر المعصوم في فكره الإسلامي في صفاء الحقيقة الإسلامية ونقائها فكيف نفسر ذلك ؟

لقد جرت محاولات تحليلية مختلفة حول مفردات كلمات الإمام (ع) حول المرأة ، ولكنها كانت تعمل على أسلوب التأويل الذي يُحمل فيه الكلام على غير ظاهره ، من دون أيّ دليلٍ ظاهر يؤكّد ذلك وربما نجد أن بعض هذه التأويلات تبتعد بالكلام عن البلاغة التي يتميز بها كلام الإمام(ع) كما نلاحظ ذلك في تحليل الكلمة المعروفة (المرأة شرّ وشرّ ما فيها أنه لا بد منها) .

وذلك في حديث شرّاح النهج عنها بأساليبهم التحليلية المتنوعة من خلال أن ظاهرها لا يمكن أن يُنسب إلى الإمام (ع) .

ولست هنا من أجل مناقشة ذلك ، فهذا أمرٌ يتكفّل به الكتاب الذي أقدّمه إلى القرّاء .

ولكني أريد أن أعلّق على طريقة المنهج في نسبة أيّ فكرٍ إلى

الإمام (ع) من خلال نسبة الكلام الدال عليه إليه .

فقد نلاحظ أن هناك فرقاً في الحديث عن نسبة نهج البلاغة بكل كلماته إلى الإمام (ع) بين فريق يحاول أن يثير بعض التساؤلات من خلال بعض الملاحظات التي يقدّمها أمام شكوكه وشبهاته مما يمكن للباحث أن يردّها ويناقشها لأنّها لا تثبت أمام النقد ،وبين فريق يحاول أن يؤكّد النسبة بالدرجة التي تجعل من النهج حجةً شرعيةً إسلامية على مفهوم إسلامي أو حكم شرعي تماماً كما هي الأدلة الإجتهادية الفقهية التي تعتمد على أصول معينة في توثيق الحديث من حيث السند والمتن ، فقد نلاحظ ـ في هذا المجال ـ أن الشريف الرضي لم يذكر لنا الرواة الذين نقل عنهم كلام الإمام علي (ع) ولم يحدّد لنا المصادر التي رجع إليها .

وإذا كنا نجد في شخصية الشريف الرضي الشخصية العلمية الأدبية الرفيعة التي توحي بالثقة فإنّ ذلك لا يجعل من روايته حجةً بالمعنى المصطلح للحجية الأصولية الفقهية بل كل ما هناك ، أننا نجد في نسبته القاطعة كل ما في النهج للإمام أنه كان مطمئناً إطمئناناً علمياً بصحته ، وهذا غير كاف في المنطق العلمي الدقيق الذي يواجه المسألة بعقلٍ بارد .

وفي ضوء ذلك قد نحتاج إلى دراسة بعض الكلمات في طبيعة مدلولها الفكري ومدى انسجامه مع الخط الإسلامي القرآني أو النبوي لنتعرف من خلال ذلك على صحة نسبته إلى الإمام من حيث المنهج الذي وضعه لنا الأئمة من أهل البيت (ع) في عرض الأحاديث الواردة عنهم على كتاب الله فما خالف كتاب الله فهو زخرف ، وما وافقه فهو الحقيقة . وهذا هو ما قد نواجهه في الكلمة التي ألمحنا إليها وهي « المرأة شرّ كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها » فإن الحكم على المرأة بأنها شرّ لا ينسجم مع الخط الإسلامي الفكري الذي يؤكّد من خلال القرآن الكريم أن الإنسان خلق صفحة نقية خالية من الخير والشر بل انطلقت إنسانيته لتكون واعية للخير والشر حتى تؤكّد اختيارها لأحدهما من خلال قناعاته الذاتية .

﴿ وهدينه النَّجدين ﴾ البلد/١٠ .

﴿ إنّا هدينه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا ﴾ الإسراء/٣ .

﴿ ونفسٍ وما سوَّىها فألهمها فجورها وتقوىٰها قد أفلح من زكّىٰها وقد خاب من دسّىٰها ﴾ الشمس/١٠ .

ثم ما معنى « وشرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها » فإذا كان المقصود دورها في التناسل ، أو في التكامل الإنساني في مبدأ الزوجية ، فإنّها لا تفترق عن الرجل في ذلك .

وإذا كان البعض يحاول تأويلها بما يخالف ظهورها اللغوي والعرفي فإن ذلك يُفقدها بلاغتها .

وقد لاحظنا أن القرطبي في كتاب بهجة المجالس ج ٢ ص ٤٥ قد روى ما يشبه هذه الكلمة عن المأمون العباسي أنه قال: « النساء شرّ كلهنّ وشرّ ما فيهن قلة الإستغناء عنه » .

فهل استوحى المأمون كلمته من هذه الكلمة ، أو أنّ هذه الكلمة قد نسبت إلى الإمام علي (ع) من دون تدقيق ، أو ماذا ؟

إنّني لم أقصد بهذه الملاحظة بحث هذه المسألة بشكل علميّ دقيق في هذه المقدمة ، فلذلك موقع آخر أرجو أن أوفّق للدخول فيه ولكني قصدت إثارة التفكير حوله من أجل إدارة الحوار فيه .

* * *

إنّ هذا الكتاب يمثل جولة فكرية تحليلية حول كلمات الإمام (ع) في نهج البلاغة عن المرأة، ونلاحظ أن مؤلفته بذلت جهداً كبيراً في دراسة هذا الموضوع من خلال الملاحظات والدراسات والشبهات التي أثيرت حوله ، وأنها استطاعت أن تحصل على الكثير من النتائج الإيجابية في هذا الإتجاه .

إنني أقدر للأخت الأديبة فتحية مصطفى عطوي هذه الدراسة في

الجوانب المتنوعة التي تحركت فيها ، والملاحظات التي أثارتها والأطروحة الدفاعية التي قدمتها لإبعاد التهمة الظالمة التي توجّه إلى الإمام علي (ع) أنه « عدو المرأة » ولإثبات الحقيقة المشرقة ، وهي أن الإمام لم ينطلق في كل ما قاله أو عمله من فكرٍ ذاتي بل كان فكره كله فكر الإسلام القرآني والنبويّ فلم ينحرف عنه مقدار شعرة ، وهذا هو ما توفّرت عليه الكاتبة بشكل ملحوظ .

إنّنا نرجو لها التوفيق في التوفر على دراسة هذا الموضوع بشكل أوسع وأشمل وأعمق لأنّ هناك الكثير من القضايا التي لا بد من دراستها في دراسة موسعة مقبلة إن شاء الله .

ونأمل لكتابها هذا المزيد من النجاح والإنتشار والقراءة الواعية من قبل الباحثين الذين سيجدون في هذه الدراسة كيف استطاعت المرأة المسلمة المثقفة أن تدخل في تجربة البحث الفكري الأدبي بنجاح .

والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد حسين فضل الله
٣ جمادى الأولى/١٤١٢هـ

المقـــدمة

يقول الإمام علي (عليه السلام) : « إعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية ، لا عقل رواية ، فإن رواة العلم كثير ، ورعاته قليل »[1] .

أن تكتب عن المرأة فذلك أمر ليس بالهيّن ، أمّا أن تناقش المرأة عند الإمام علي (عليه السلام) ومن خلال نهج البلاغة ، فذلك أمر صعب ، زاده صعوبة الفهم الخاطيء عند الناس عن الصورة التي رسمها الإمام علي (عليه السلام) للمرأة .

فقد سمعت الكثير من الإتهامات هنا وهناك ، فالرجل يتهم المرأة بأنها الشر وأنها الفتنة . . . والمرأة تتهم الإمام بتشويه صورتها ، وبأنه عدوها . . وبين الأمرين يحتار الباحث .

وتهيبت من الموضوع فكيف لي أن أناقش كلام الإمام المعصوم فأرده سلباً أو إيجاباً مع التسليم بعصمة كلام المعصوم ؟

وكيف أرضى باتهام المرأة وأنا في النهاية إمرأة . . أنثى تبحث عن حقيقتها ودورها في هذا المجتمع ، بل كيف أترك الرجل في ضبابيته وقد

---

(١) محمد عبده ، نهج البلاغة ٣/١٥٨ .

أخذ المرأة الصالحة بالطالحة، والخيّرة بالشريرة . . ومن أصعب الأمور على الإنسان أن لا ينتفع ببصره وبصيرته .

وما انتفاع أخ الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمْ

وأعترف أنني كدت أن أستسلم وأتراجع عن الخوض في هذا الموضوع خوفاً من الفشل ، وخوفاً من أن أخطيء التفسير كما أخطأه البعض فتقع المرأة في وضع أسوأ ، وتكون المرأة هنا هي السبب في ظلم المرأة .

إلّا أنّ أحد الأخوة شدّ من عضدي وشجعني بكلامه. فلم لا أكون أوّل من يطرح هذا الموضوع خصوصاً من النساء ؟ رغم أن مصادر البحث قليلة (وهذا يعني تهميش المرأة في كتابات المسلمين) ، فدفعني كلام الزميل أشواطاً إلى الأمام إلّا أنه زاد في قناعتي أن المرأة لا تستطيع أن تنجح بعملها دون إشراف الرجل وقواميته عليها وهو الواقع .

والأمر الأهم في تهيبي من الفشل هو أن لا تكون معالجتي بالمستوى المطلوب ، وحيث أن « رواة العلم كثير ورعاته قليل » قررت أن أقوم بخطوتي وأنا بكامل قواي العقلية لأدفع عن نفسي وعن المرأة بشكل عامٍ شبهات تاريخية طال أمدها .

ورحت أستنبش تاريخ الإمام علي (عليه السلام) مع المرأة وأفتش عن المرأة في نهج البلاغة : المرأة الشر ، والمرأة الفتنة ، والمرأة العاقلة والمرأة المجنونة . . . المرأة الغيورة حتى الكفر ، والمحبة حتى الشماتة . . . المرأة العقرب والحلوة اللسبة .

وقرأت شروح المفسرين . . ورأيت هنا وهناك أن الكثير من هؤلاء كل يغني على ليلاه ، والمرأة هي المظلومة وهي المتهمة ، خصوصاً أن البعض حكم على المرأة بالإعدام وفسر نصوص المرأة في نهج البلاغة تفسيراً خاطئاً وحمّلها أكثر مما تحتمل ، مما يخرج المرأة من نهج البلاغة إلى المتصلة .

[illegible] المرأة [illegible]

[illegible] الإمام [illegible] بعض المرأة ، [illegible] المرأة من [illegible] الإمام [illegible] امرأة سيئة ، وعمومية حكم كل [illegible] الإمام علي (عليه السلام) [illegible] المرأة من خلال نهج [illegible] من كل الشبهات ، وأن تكون ركيزة لا [illegible] مدرسة في بيتها يتكفل الله برزقها ورزق عيالها [illegible] وجهودها في سبيل الله وفي سبيل أسرتها .

[illegible] المرأة في حياتها بتصاحب الإمام علي (عليه السلام) [illegible] المرأة فوقعت تتخبط في مشاكل الطلاق والهجر [illegible] يدفعون الثمن والأبناء يخسرون .

[illegible] المرأة في نهج البلاغة. فإني أعتبر نفسي قد [illegible] الكثيرين ممن يجبون الخوض في هذا الموضوع الذي [illegible] من بحث . فنهج البلاغة بحر زاخر بالخيرات وما من أحد [illegible] إلا [illegible] بحظ من الرزق وهو معين لا ينضب ولا تزيده كثرة [illegible] إلا [illegible] . كيف لا وكلام الإمام علي (عليه السلام) « دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين » بعد كلام الرسل والأنبياء ، [illegible] محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

[illegible] أستاذي الدكتور نايف محمود معروف الذي أشرف على

بحثي جامعياً وأجازه بتقدير جيد جداً . كما أشكر كل من ساهم معي في إيجاد المصادر خصوصاً الدار الإسلامية والأخ الأستاذ علي المهدي .

وتحية إكبار إلى والدتي الأم والمرأة المجاهدة التي أبت عليها نفسها أن تترك أطفالها وقد توفي زوجها في ريعان شبابها ، فكانت الأم والأب وقد استطاعت بحسن تدبيرها أن تربي أولادها على الحب والحنان ، وتخرج إلى المجتمع رجالاً ونساءً ، وأتعبها ذلك كثيراً حتى وقعت ، قبل أوانها ، طريحة المرض . . ولكنها مسرورة وقد استطاعت أن تؤدي رسالتها .

وأعظ نفسي كما أعظ كل النساء بأن يكنّ تلك المرأة الرسالية التي أرادها الإمام علي(عليه السلام)من خلال«المرأة في نهج البلاغة»، راجية من الله تعالى أن أكون قد وفقت في خطوتي المتواضعة .

واالحمد للّه ربّ العالمين

فتحية مصطفى عطوي
بيروت ١٠ذي الحجة ١٤١١هـ
٢١ حزيران ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

قبـل الكــلام

الداخل إلى رحاب « نهج البلاغة » كالداخل إلى المحـراب ، تتملكه الرهبة ويأخذه الإعجاب ، فهو أمام معجزة من معجـزات الخالق سبحـانه وتعـالى ، هي شخصيـة الإمـام عـلي (ع) أمـير المؤمنـين ، تلك الشخصيـة العظيمة والعبقرية الفذة التي لم تتكرر في التـاريخ الإسـلامي بعد شخصيـة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

تلك الشخصية الإسلامية التي ملأت تاريخنا جهـاداً وبطولات وكـان لها اليد الأولى في الإسلام بعد رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) في إرسـاء قـواعـد الإسـلام فكـان لسيف عـلي (عليـه السـلام) ومـال خديجة (عليها السلام) الدور الأكبر بعـد رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) في نشر الدعوة الإسلامية .

أما في الحكمة والأدب والبلاغة والفصاحة والبيان . فقد أثرى الإمام عـلي (عليه السـلام) تراثنـا الفكري الإسـلامي حتى أصبح كتـابـه « نهج البلاغة » المرجع بعد كتاب الله عزّ وجل وسنّة رسوله (صلى الله عليـه وآله وسلم) لكل من أراد الإستضاءة بنور الإسلام ونـور العلم والأدب ، كيف لا « وكلام الإمام علي (عليه السلام) هو العلم الذي عليه مسحـة العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي »[١] .

---

(١) محمد عبده ، نهج البلاغة (من مقدمة الشريف الرضي) ١١/١ .

الباب الأول

« نهج البلاغة »

ماهيته ، صاحبه ، جامعه ، شبهات حوله ومناقشتها

ما هو « نهج البلاغة » ؟

قبل الدخول في صميم بحثنا « المرأة في نهج البلاغة » لا بد لنا من وقفة مع « نهج البلاغة » الذي استقينا منه النصوص التي تتعلق بالمرأة ليسهل علينا الولوج في صلب موضوعنا ، ولعل السؤال الأكثر إلحاحاً يتعلق بماهية « نهج البلاغة » والذي جعلناه عنواناً لهذه الفقرة ، عن هذا السؤال يجيب الشيخ محمد عبده فيقول :

« ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره الشريف الرضي(*) رحمه

(*) **الشريف الرضي** : (ذو الحسبين) : هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين إبن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر إبن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر إبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
ولد الشريف الرضي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة واشتغل بالعلم ففاق أقرانه في الفقه والفرائض وبذّ أهل زمانه في العلم والأدب .
ويروي ابن أبي الحديد : . . . « وحدثني فخار بن معد العلوي الموسوي قال : رأى المفيد أبو عبد الله ابن النعمان الفقيه الإمام في منامه كأن فاطمة بنت رسول الله =

الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وجمع متفرقه وسمّاه بهذا الإسم « نهج البلاغة » ولا أعلم إسماً أليق بالدلاة على معناه منه ، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد ممّا دلّ عليه إسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الإختيار »[١] .

وحول ماهية « نهج البلاغة » يجيب الشريف الرضي (جامع نهج البلاغة) فيقول :

« كتاب يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في جميع فنونه ومتشعبات غصونه ، من خطب وكتب ، ومواعظ وأدب ، علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ، ولا مجموع الأطراف في كتب إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك سبق وقصّروا وتقدم وتأخروا ، لأنّ كلامه

= (صلى الله عليه وآله وسلم) دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ ، ومعها ولداها : الحسن والحسين (عليهم السلام) صغيرين فسلمتهما إليه ، وقالت له : علمهما الفقه . فانتبه متعجباً من ذلك . فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر ، وحولها جواريها ، وبين يديها ابناها ، محمد الرضي وعلي المرتضى صغيرين فقام إليها وسلم عليها ، فقالت : أيها الشيخ ، هذان ولداي قد أحضرتهما لتعلمهما الفقه . فبكى أبو عبد الله (الشيخ المفيد) وقص عليها المنام وتولى تعليمهما الفقه ، وأنعم الله عليهما ، وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا ، وهو باق ما بقي الدهر .

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/ ٤١ .

(٢) أما عن حياة الشريف الرضي وآثاره وأدبه فسنتطرق له خلال سير هذا البحث .

(٣) محمد عبده : مقدمة نهج البلاغة ١/ ٤ .

(عليه السلام) الذي عليه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي »[1] و« هذا كتاب (نهج البلاغة) قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) ما هو قبس من نور الكلام الإلهي ، وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي »[2] .

وكتاب نهج البلاغة هو البحر الزاخر بأثمن جواهر الكلام ، سكبها الإمام علي (عليه السلام) وأخرجها إلى حيّز الوجود قلائد تهف عقول العلماء والأدباء للغوص بحثاً عنها لتزيين نتاجهم الفكري والأدبي والعلمي فالإمام علي (عليه السلام) : إمام الفصحاء وسيد البلغاء . « وكان أشرف العلوم ، ومن كلامه (عليه السلام) اقتبس وعنه نقل ، وإليه إنتهى ومنه ابتدأ »[3] .

وقد وصف الشيخ محمد عبده إعجابه « بنهج البلاغة » بعد تدبره والتصفح به فقال : « يخيل لي أن حروباً شبّت وغارات شنّت وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة وأن للأوهام عرامة[4] وللريب دعارة وأن جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الإنتظام ، تنافح بالصفيح الأبلج[5] والقويم الأملج : وتمتلج المهج برواضع الحجج فتفل من دعارة الوساوس[6] وتصيب مقاتل الخوانس ، والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود ، وأن مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) محمد عبده ١/ ١١ .

(٢) الخطيب: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، رأي للشيخ محمود شكري الألوسي ١/ ١٠٧ .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/ ١٧ .

(٤) العرامة : الشراسة ، الدعارة : سوء الخلق .

(٥) الأبلج : اللامع البياض . فل الشيء : ثلمه والقوم هزمه .

(٦) محمد عبده : نهج البلاغة ١/ ٤ . المفردات : مرج : إضطرب ، التلبيس : التخليط ، التدليس .

(عليه السلام) »[1] .

« بـل كنت كلما انتقلت من مـوضـوع إلى مـوضـع أحس بتغيـير المشاهد ، وتحول المشاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمـره من المعاني أرواح عالية . في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية . وتـدنو من القلوب الصافية ، توحي إليها رشـادها وتقـوم منها مـرادها . وتنفـر بها عن مداحض المزال . إلى جواد الفضل والكمال »[2] .

« وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نـورانيـاً ، لا يشبـه خلقاً جسـدانياً ، فصـل عن الموكب الإلهي ، واتصل بالروح الإنساني . فخلعه عن غاشيات الـطبيعة وسـما به إلى الملكـوت الأعلى . ونمـا به إلى مشهـد النور الأجـلى . وسكن بـه إلى عـمار جـانب التقـديس . بعـد استخـلاصـه من شـوائب التلبيس . وآنـات كأني أسمـع خطيب الحكمـة ينـادي بـأعليـاء الكلمـة ، وأوليـاء أمر الأمـة ، يعرفهم مـواقع الصـواب ويبصرهـم مواضـع الإرتياب ويحذرهـم مزالق الإضطراب ، ويرشدهـم إلى دقاق السياسة ، ويهديهم طرق الكيـاسة ، ويـرتفع بهم إلى منصـات الرئـاسة ويصعـدهم شرف التدبـير ، ويشرف بهم على حسن المصير »[3] .

« وليس في أهـل هذه اللغـة إلّا قائـل بأن كـلام الإمـام عـلي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعـالى وكلام نبيـه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني »[4] .

وفي كـلام الشيخ عبـده أفضل تعبـير وأبلغ إفصاح عـما يكنّه الشيـخ عبده وأمثاله من الأدباء والعلماء من إعجاب « بنهج البلاغة » وما يحتويه من

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١/ ٣ .
(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ١/ ٤ .
(٣) محمد عبده : نهج البلاغة .
(٤) محمد عبده : نهج البلاغة ١/ ٦ .

الحكمة والبلاغة والفصاحة وانسجام بالألفاظ وتنوع في نواحي الخطب والكلم واختلاف المرامي والأغراض فيها . ففيه الوعظ والإرشاد والزجر والنهي ، والعلم والحكمة ، والحث على الجهاد واستنهاض الهمم والزهد والنصح والتفكر في هذا العالم وفي كائنات الأرض وكائنات السماء ، وفي كل هذه العلوم تتجلى عبقرية الإمام علي (عليه السلام) فهو القرآن الناطق ، وهو العلم الإلهي . . وهو الأدب المبدع ، وهو النور العذب وهو الضياء ، إنه وكفى . . . « نهج البلاغة » .

إنّ كتاب « نهج البلاغة » هو الشاهد أبد الدهر على أنّ الإمام علي (عليه السلام) هو القرآن الناطق ، كيف لا وهو الذي حفظ القرآن كله ووقف على أسراره وتهذّب بتهذيبه ، وتأدّب بأدبه ، واستنطق بنوره الذي ينطق الأبكم ، فكيف بالإمام علي (عليه السلام) أمير الفصاحة والبيان ، وهو الذي يجسد الخصب الفكري والإعجاز المنطقي والحكمة الإلهية .

زهد الإمام علي (عليه السلام) في الدنيا فجرت الحكمة على لسانه عميقة تغذيها روح العقيدة الإسلامية التي التزم بها طفلاً ، وارتوى من ينابيعها ، عند مهبط الوحي والتنزيل ، عند ملهمه ومعلمه الأول وقائده وابن عمّه ومربيه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) تحدر من أكرم المناسب ، وانتمى إلى أطيب الأعراق ، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش ، وجده عبد المطلب أمير مكة وسيد البطحاء ثم هو من هامات قريش وأعيانهم ، وبنو هاشم كما وصفهم الجاحظ : « ملح الأرض ، وزينة الدنيا وحلى العالم ، والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس

المبارك والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم »[1] .

خاض الإمام علي (عليه السلام) في أسرار الكون ، وعارك الحياة وعاركته وواجه فيها أصنافاً وشرائح عدّة من الناس ، فكانت له نظرته الخاصة وحكمته المميّزة ، أمّا في السياسة ، فكان الإمام علي (عليه السلام) مدرسة قائمة بذاتها ، لا بد من العودة إليها والإستضاءة بنورها في أي تنظيم سياسي للدولة .

وعلى الرغم من أنه كان « المستحق المحروم » بل أمير « المستحقين المحرومين »[2] إلّا أنه كان كريم النفس عزيزها ، قوي الإيمان مدّ يد العون والمساعدة لكل الذين حاربوه وغصبوه حقه ، فكانت سياسته في هذا سياسة الحليم الشهم الكريم الذي قدر فظفر فحلم ، حاربته عائشة أم المؤمنين(رض)فلما ظفر بها أكرمها،وحاربه أهل البصرة فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم ، ومنعه معاوية من الماء ليقتله بالعطش ، ولمّا ظفر بالماء بعد أن أزال جيش معاوية عنه أباح الماء للجميع[3] . . . ومن قبل أقصي عن مرتبته التي رتّبه الله بها . . ورغم ذلك مدّ يده لكل من سبقه من الخلفاء .

هو الإمام علي (عليه السلام) يعسوب الدين[4] ، وإمام المتقين اجتمع له وهو ربيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لم يجتمع لأفذاذ الحكماء وكبار العلماء ، فلنستمع إليه يصف هذه المنزلة في خطبته « القاصعة » حيث يقول :

«وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة (المقدمة : من هو الإمام علي (عليه السلام)) ١/ ٢ .
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ١٠/ ٢٢٤ .
(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/ ٢٣ .
(٤) اليعسوب : ذكر النحل وأميره .

صدره ويكنفني فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره . ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ، ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة وأنا ثالثهما . أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة .

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت يا رسول الله ما هذه الرنّة ؟ فقال : هذا الشيطان آيس من عبادته . إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا أنّك لست بنبي ، ولكنك وزير وإنك لعلى خير »[١] .

هذا هو الإمام علي (عليه السلام) الذي كان يأخذ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل يوم علماً حتى قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتِ الباب »[٢] . وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً : « علي مع القرآن والقرآن مع علي »[٣] وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « رحم الله علياً ، اللهم أدر الحق معه حيث دار »[٤] ، وقال علي (عليه السلام) : « علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب ، كل باب يفتح ألف باب »[٥] .

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ، ١٥٨/٢ .

(٢) شرف الدين : المراجعات ، ٣٩٠ ، الترمذي : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ٣٠١/٥ .

(٣) الأميني : الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، ١٧٨/٣ عن ربيع الأبرار للزمخشري ١٧ .

(٤) الترمذي : سنن الترمذي ٢٩٧/٥ .

(٥) شرف الدين : المراجعات ٥٨١(عن) كنز العمال ١٠٠/١٥ ومنتخب كنز العمال ٤٣/٥ .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي »[1] إلى غير ذلك من الأحاديث المتواترة التي تؤكد منزلة الإمام علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فهو ابن عمه وأول الناس إسلاماً به ، زوّجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين وقال لها :

« أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاماً ، وأعلمهم علماً ، وإنك سيدة نساء أمتي كما سادت مريم نساء قومها »[2]؟ ، فكانت عليها السلام هي وأبوها وبعلها وبنوها ، أهل بيت النبوة الذين طهرهم الله من الرجس »[3] .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[4] . وجعل الله ذرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلب علي وفاطمة وجعل ابنيهما الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[5] .

وإن كنا قد استطردنا إلى سيرة وحياة صاحب « نهج البلاغة » الإمام علي (عليه السلام) فلأن العلاقة وثيقة ولصيقة بين النهج وصاحبه ، بل إن النهج هو وليد معاناة الإمام علي (عليه السلام) المستحق المحروم الذي ذاق من الدنيا وناسها القهر ، وزهد بالدنيا فطلقها ثلاثاً لا رجعة بعدها[6] (وكأنها إمرأة) ، وشرّح المجتمع سلوكياً ، فكان من الناس

(١) مسلم : صحيح مسلم : ٣٢٣/٢ في فضائل الإمام علي (عليه السلام) .
(٢) الترمذي : صحيح الترمذي ، مناقب أهل البيت ، ٦٦١/٥ .
(٣) مسلم : م س ٣٦٨/٢ ، والترمذي : م س ٦٦١/٥ .
(٤) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .
(٥) الترمذي : م س ٦٥٦/٥ و٦٥٧ . مناقب أهل البيت (عليه السلام) .
(٦) محمد عبده : نهج البلاغة ١٥٣/٣ ، الحكمة ٧٦ .

الخلص اتباع الحق ، وكان اتباع الباطل من الناكثين والقاسطين والمارقين والمنافقين ، فمدح اتباع الحق ، ومجّت نفسه اتباع الباطل .

باختصار ، هو الإمام علي (عليه السلام) ، عبقرية خالدة ، وشخصية إسلامية فذة ما أن تذكره حتى تذكر رايته يوم بدر وهو ابن عشرين عاماً[١] ، وتذكر قول الخليفة عمر (رض) عنه : « أقضانا علي (عليه السلام) » ، « ولا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن » ، « ولا يفتينّ أحد وعلي حاضر »[٢] وتذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتي الباب »[٣] .

ولما كانت للإمام علي (عليه السلام) هذه الميزة وهذه الخصوصية الفريدة ، جعله ذلك موضع حسد الحاسدين فحاولوا جهدهم طمس معالمه وإطفاء نوره ومنع رواية أي حديث عنه ، وسبّه على المنابر والتوعد لشيعته ومحبيه وقتلهم وصلبهم « حتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه »[٤] « فما زداه ذلك إلاّ رفعة وسمواً وكان كالمسك كلما ستر إنتشر عرفه ، وكلما كتم تضوع نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار أن حجبت عنه عين أدركته عيون كثيرة »[٥] ، « وما إن تذكر « نهج البلاغة » حتى يقفز إلى ذهنك اسم الإمام علي (عليه السلام) ، فليس من قائل إلاّ كلام علي إبن أبي طالب (عليه السلام) .

« دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين »[٦] بعد كلام الأنبياء والمرسلين .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، م ٤ ، ٢٥٠/٧ .
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤/١ .
(٣) الترمذي : م س ٢٩٧/٥ .
(٤) ابن أبي الحديد : م س ، ٥٦/٤ ، معاوية يأمر بسب علي (عليه السلام) وأيضاً أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ٨٥/١ .
(٥) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٤/١ .
(٦) المصدر نفسه .

من جمع نهج البلاغة ؟

قبل الخوض في موضوع بحثنا « المرأة في نهج البلاغة » لا بد لنا من الوقوف عند « نهج البلاغة » ، الأثر الأدبي لنعرف من ألّفه أو نشره أو حققه ، أو من كان له صلة أو يد بيضاء في حفظ ذلك الأثر القيم وإيصاله إلينا بهذه الروعة وهذا الإبداع ، إذن فمن الضروري أن نتساءل :

من جمع نهج البلاغة ؟!

تجند الكثيرون من العلماء والكتاب لجمع أحاديث وخطب ومواعظ وحكم الإمام علي (عليه السلام) وكتبه السياسية إلى عماله في الأمصار ، فبعض هذه المحاولات طمست أخبارها ، والبعض الآخر بقي كمصدر من مصادر نهج البلاغة . وقد رصد السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في كتابه « ما هو نهج البلاغة »[1] الكثير ممن جمعوا خطب الإمام علي (عليه السلام) قبل الشريف الرضي ، أي من أبناء المائة الأولى والثانية والثالثة للهجرة، حتى أن ابن أبي الحديد في شرح «نهج البلاغة» يقول أنه قد أورد من كلامه الغريب (يعني من كلام أمير المؤمنين) ما لم يورده أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كلامهما وشرحه أيضاً[2] ، علماً أن أبا عبيد القاسم ابن

---

(١) الشهرستاني : ما هو نهج البلاغة ٤٢ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٤٢/١٩ .

سلام قد توفي سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) وأبا قتيبة عبد الله بن مسلم المرزوي قد توفي سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) .

نعود إلى من جمع خطب الإمام قبل الشريف الرضي على ما أورده السيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه « ما هو نهج البلاغة » فمنهم :

١ ـ زيد بن وهب الجهمي المتوفى سنة (٩٦هـ/٧١٤م) له كتاب « خطب أمير المؤمنين على المنابر في الجمع والأعياد » أدرك مؤلفه الجاهلية والإسلام .

٢ ـ نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار ، صاحب كتاب « صفين » ومن مشاهير الإخباريين في المائة الثانية للهجرة ، له كتاب « من خطب علي (عليه السلام) » وقد أورد له (عليه السلام) خطباً وكلمات في كتبه الأخرى .

أما كتب المغازي والحروب والأخبار والسير التي اشتملت على كلمات علي (عليه السلام) وخطبه فهي أكثر من خمسمائة مصنف وتوفي أصحابها قبل أن يولد الشريف الرضي .

٣ ـ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المؤرخ المشهور المتوفى سنة (٢٠٦هـ/٨٢١م) ، صنف كتاب خطب علي (عليه السلام) ، وكثيراً ما ينقل عنه المفيد في إرشاده والرضي في مجموعته .

٤ ـ الواقدي محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المتوفى سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) وقد نقل الشريف الرضي عن خطبه في نهج البلاغة بعض الخطب (وكذلك أخذ عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة) .

٥ ـ المدائني أبو الحسن علي بن محمد المولود سنة (١٣٥هـ/٧٥٢م) المتوفى سنة (٢١٥هـ/ ٨٣٠م) صنف كتاب خطب علي (عليه السلام) وكتبه إلى عماله (عن ابن النديم وغيره) .

٦ ـ السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني المعروف بالشاه والمدفون في الري قرب طهران من أبناء المائة الثانية ومن أصحاب سيدنا الإمام علي الرضا (عليه السلام) له كتاب في خطب جده أمير المؤمنين (عليه السلام) كما في فهرست النجاشي .

٧ ـ أبو عثمان الجاحظ عمرو بن بحر المتوفى (سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) له كتاب مائة كلمة من كلمات علي أمير المؤمنين (عليه السلام)[١] .

ولقد اختصرنا على إختصار الشهرستاني منعاً للإطالة والملل ولأنه يخرج عن موضوع بحثنا ، « المرأة في نهج البلاغة » أما المسعودي فإنّه يقول : « والذي حفظ الناس عنه من خطبه ـ أي الإمام علي (عليه السلام) ـ في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة ، وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً »[٢] .

وقد ذكر المسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) بعض خطب الإمام علي (عليه السلام) خلال سير الأحداث التاريخية الإسلامية .

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الناس آنذاك كان عندها القدرة على الحفظ والنسخ ، ولعل في ما أوردنا وباختصار ردّ ومن حيث لا نقصد على شبهة إتهام الشريف الرضي باختلاق نهج البلاغة وإلصاقها بالإمام علي (عليه السلام) وهذا الموضوع سنعود إليه ضمن صفحات بحثنا اللاحقة .

وعلى هذا فإن محاولة الشريف الرضي في جمع « نهج البلاغة » وإن لم تكن المحاولة الأولى ، وقد وجدنا أنه قد سبقته محاولات كثيرة لجمع خطب وأقوال الإمام علي (عليه السلام) ، تبقى هي المحاولة الأهم والأجرأ والأعظم والأعلى شأناً والأحسن تبويباً والأبعد صيتاً وشأواً .

---

(١) الشهرستاني : ما هو نهج البلاغة ٤٥ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢ /٤٣١ .

وقد رصد السيد الشهرستاني بعض الناقلين لخطب الإمام علي (عليه السلام) بعد الشريف الرضي منهم القاضي القضاعي في دستور الحكم وأخطب خوارزم موفق بن أحمد في مناقبه والكنجي الشافعي في كفاية الطالب وإبن طلحة الشافعي في مطالبه وابن الجوزي[1] وغيرهم ، بالإضافة إلى شرح « نهج البلاغة » منها : شرح ابن أبي الحديد ، وشرح البحراني والخوئي وغيرهم .

إلاّ أنَّ ما يهمنا أن الشريف الرضي كان أنجح المحاولين في جمع نهج البلاغة وفي هذا يقول الشيخ البحراني : « ولم يزل كلامه (عليه السلام) ـ أي علي أمير المؤمنين ـ مبدداً في صدور الرواة منتشراً في أيدي المهتدين والغواة ، تحاول أعداؤه أن يخفى مشهوره ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره إلى أن عضد الله الإسلام بوجود السيد الإمام الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (قدس سره) ونور ضريحه فأحيا من كلام جده الرفات وجمع منه ما كان في حيّز الشتات ، وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الإستطاعة ، وسمّى مجموعه بـ« نهج البلاغة » فجاء الإسم وفق المسمّى ، واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء ، وحباه من وظائف الفضل أجزل الحباء »[2] .

علماً أن الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني قد توفي (سنة ٦٧٩هـ/١٣٧٧م) .

وعلى هذا فإن كتاب نهج البلاغة بسيرته المتداولة هو من جمع وتأليف الشريف الرضي وليس من اختلاقه ، بل أن الشريف الرضي وهو الأديب والعالم والفقيه والشاعر كان كالجوهري الذي هو أدرى بقيمة الجواهر

---

(١) الشهرستاني : ما هو نهج البلاغة ، ٤٨ .

(٢) البحراني : شرح نهج البلاغة ، المقدمة ١/ ٢ .

فـانتقى منها بـذوقه المـرهف أثمن جـواهـر الكـلام وأجملهـا ولا يخفى عـلى أصحـاب العلم والأدب مدى صعـوبة ودقـة وجمال هـذه المهمة الأدبيـة وما تشتمل عليه من سحر وروعة وفن!!.

الشبهات حول « نهج البلاغة »

رغم أن موضوع بحثنا هو « المرأة في نهج البلاغة » إلاّ أن إثبات نهج البلاغة هو الباب الـذي نلج منه لانتقـاء النصوص المتعلقـة «بالمرأة في نهج البلاغة».

ورغم أن الكثيرين ممن تجندوا للدفـاع عن صحة نسبـة نهج البلاغـة للإمام علي (عليه السلام) قد أثبتـوا أن خطب وحكم نهج البـلاغة كـانت محفوظة في الصدور ومنسوخة على الأوراق قبل عصر الشريف الرضي ، وأن هناك محاولات كثيرة جرت لجمع هذه الخطب والمواعظ قبـل عصر الشريف الرضي وبعده ، كـما أوردنا تحت عنـوان « من جمع نهج البـلاغة » ؟ إلاّ أن البعض ممن ركب الهوى والعصبية أبى إلا أن يتهم الشريف الرضي باختلاق نهج البـلاغة لا جمعـه ، وقد استنـد في شكوكـه وشبهاتـه على أسبـاب عدة أوجزها أحد الباحثين في نهج البلاغة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في النقاط التالية :

١ ـ كـثرة الخطب وطـولها وتعـذر الحفظ والضبط في أمثـالها ، فـإن الخطب الطوال يصعب حفظها وتذكر ألفاظها بعد الأجيال .

٢ ـ إسناد بعض الخطب المروية في النهج إلى القطر الخارجي وغيره ، (أي إلى غير الإمام (عليه السلام)) .

٣ ـ إن المجموع من خطبه (عليه السلام) يتضمن أنباء غيبية وأخبار الملاحم والفتن مما يختص علمه بالله وحده .

٤ ـ اشتمال خطب النهج على علوم تولدت في المجتمع الإسلامي بعد عصر الصحابة والتابعين مما يستبعد التحدث عنها قبلاً . كدقائق علم التوحيد .

٥ ـ إشتمال الخطب على اصطلاحات وجدت في القرون المتأخرة وعلى سبك حديث الطراز[1] .

وقد جاء من بعده السيد عبد الزهراء الخطيب فذكر هذه الشبهات نفسها بشيء من التفصيل وزاد عليها الشبهات التالية :

١ ـ ما فيه من ذكر الوصي والوصاية .
٢ ـ ما فيه من الحث على الزهد ، وذكر الموت ، وقرض الدنيا على منهاج المسيح (عليه السلام) .
٣ ـ وصف الحياة الإجتماعية على نحو لم يعرف إلاّ في العصور المتأخرة ، ترى في هذه الخطب طعناً شديداً على الوزراء والحكام والقضاة في السلوك والأخلاق ، وفي الذمم والضمائر ، ووصفاً للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة .

٤ ـ خلو الكتب الأدبية عن كثير مما في « نهج البلاغة » .

٥ ـ (وهذه ذكرها أيضاً الشهرستاني):

٦ ـ إنّ في الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله (صلى الله عليه

(١) الشهرستاني : ما هو نهج البلاغة ٥٢ .

وآلـه وسلم) مـا لا يسلم أن يصـح عن مثـل الإمـام عـلي (عليه السلام)[1] .

وقد تصدى السيد عبد الزهراء الخطيب في مجلداته : « مصـادر نهج البلاغة وأسانيده » لهذه الشبهات وخاصة شبهة : خلو « نهج البلاغـة » من الأسانيد واتهام الشريف الرضي باختلاقـه ، وقد قـدم السيد الخطيب هذه الـردود في أربعة مجلدات سـدت فراغـاً مهـما في رفـاف المكتبـة الإسـلاميـة والعربية نحيل إليها من يرغب في دراسة هذا الموضوع .

وتتوالى الدراسات عن نهج البلاغة وعن الشبه والشكوك حول صحة نسبته إلى الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السـلام) فنقرأ مؤخـراً كتابـاً تحت عنـوان : « الأدب الإسلامي في عهـد النبوة وخـلافة الـراشدين » جـاء فيه المؤلف (الـدكتـور نـايف معـروف) عـلى ذكـر تلك الشبهـات بشيء من الإختصار[2] بيد أنـه ترك القـارىء في حيرة من أمـره إذ لم يحسم الموقف ، ولعلّ العذر الذي نلتمسه له أن كتابه لم يكن مختصاً بـدراسة النهـج مع مـا نتمنى عليه لثقتنا بموضوعيتـه وبعلمه من أن يخصص بعض وقتـه ليعيش في رحاب نهج البلاغة .

هـذه الشبهات سـوف نستعرضهـا ونردّ عليهـا بشيء من الإختصـار والإيجـاز ما أمكن حتى نضـع القارىء الكـريم في أجـواء « نهج البـلاغـة » فيطمئن باله إلى صحة النصوص المتعلقـة بالمـرأة والتي سوف نقتـطعها من خطب وحكم ومواعظ وكلام أمير المؤمنـين الإمام عـلي (عليه السـلام) في كتـاب « نهج البـلاغـة » ، فنـدخـل آمنـين إلى رحـاب « المـرأة في نهج البلاغة » .

---

(١) الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ١/١٣١ .

(٢) معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ٥٥ .

الشبهـة الأولى : أن « نهج البلاغـة » هو مكـذوب على الإمـام علـي (عليه السلام) وأنه من اختلاق الشريف الرضي (قدس سره) .

رد الشبـهـة: كنـا قـد أثبتنـا سـابقـاً وتحت عنـوان « من جمـع نهج البلاغة » أسماء كبار العلماء والأدبـاء ممن سبق الشريف الرضي في محـاولات جمع شتات خطب وحكم الإمام علي (عليه السـلام) التي قال فيهـا المؤرخ الكبير المسعودي « بـأن الناس قـد حفظوا عن الإمـام علي (عليـه السلام) من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانـون خطبـة يوردهـا على البـديهة[1] . ونـرى أن عدد الخـطب في « نهج البلاغـة » لم يصل إلى هـذا العدد مما يدل على أن الشريف الرضي لم يتمكن من جمـع خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة بالكامل إنّما كان كما صرّح الشريف الرضي في معرض توضيـح الهدف الـذي قصد إليـه من جمع خـطب وكلام وحكم الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة هو أن يظهر « كتاب يحتوي على مختار كلام مـولانا أمـير المؤمنين (عليـه السلام) في جميـع فنونـه ومتشعبات غصونه ، من خـطب وكتب ومواعظ وآداب علماً أن ذلـك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والـدنيويـة ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب »[2] .

وما يدفعنا لزيـادة التأكيـد (بالإضـافة إلى مـا أسلفنا) عـلى أن نهج البلاغة هو من جمـع الشريف الـرضي لا من اختلاقـه الشخصية الإسـلامية الورعة التي كان يتميز بها الشريف الرضي الذي تولّى نقـابة الـطالبين أكـثر من مرة ، بالإضافة إلى التقوى والورع وهو العالم المجتهد ، والعلم والأدب والشعر وهو الشاعر والأديب ، بالإضافة أيضاً إلى النفس الأبـيـة والشهامـة

(١) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤٣١/٢ .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة (مقدمة الشريف الرضي) ١١/١ .

العلوية التي كان يتحلى بها الشريف الرضي الهاشمي القرشي .

هـذه المرتبـة العاليـة من الإجتهاد والتقـوى والورع وعفـة النفس(١) بـالإضافـة إلى وصول الشريف الـرضي إلى مرتبـة الإجتهـاد والإفتـاء تمنعـه [وهو العالم بأن الكذب من الكبائر وخاصة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمـة من آل بيته (عليـه السلام)] من أن ينسب لنفسـه ما ليس له ، وإن كان ذلك سيسطر إسمه في عالم العظمة والمجد والخلود (في عنـد الله خـير وأبقى) والأصـل في الإدعـاء التصـديق ، فكيف يضيـع الشريف الرضي على نفسه عملاً بهذه الضخامة ، بالإضافة إلى عمره الذي أفناه في البحث والتدقيق والتنقيب فإذا كـان الشريف الرضي قـد نجح في عمـله في

---

(١) عن تقوى الشريف الرضي وورعه وزهده ونفسه الأبية نروي :

- لم يقبل الشريف الرضي من أحـد صلة ولا جائـزة حتى أنه رد جـائزة وزيـر بهاء الـدولة الذي أنفذها إليه وقد ولد للشريف الرضي ولد ، فـأرسل الـوزير ألف دينـار بحجة أنها للقابلة هدية ، ولكن الشريف الرضي ردها رافضاً قائلاً : « إننا أهل بيت لا نطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا ، ولسن ممن يأخذن أجرة ولا يقبلن صلة » . عن ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١ / ٤٠ .

وعن الشريف الرضي أيضاً أنـه كان يحفظ القـرآن على الشيـخ إبراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي ، وكـان الشريف شاباً حدث السن ، فقـال له شيخـه : أين مقامـك ؟ فقال : في دار أبي بباب محـول ، فقال لـه شيخه : مثلك لا يقيم بـدار أبيه قـد نحلتك داري بالكرخ المعروف بدار البركة ، فامتنع الـرضي عن قبولهـا وقال لـه لم أقبل من أبي قط شيئاً ، فقال لـه : إن حقي عليك أعـظم من حق أبيك عليـك لأني حفظتـك كلام الله ، فقبلها . . . (م ن ، ١/ ٣٤) .

وعنـه أيضاً : بعـد وفاة والـد الرضيـين ، تقاسم الشـريفان الرضي والمرتضى مـا تـركـه والـدهما ، وبقي (كتـاب) حيث لم يمكن قسمته ، فـاقترح الشريف المرتضى أن يكـون الكتـاب هذا من نصيب من لم يـرتكب منهما إثمـاً أو معصية في حيـاته ، لكنّ الشريف الـرضي رفض واقترح بـدلا عن ذلك أن يكـون الكتاب هـذا من نصيب من لم يفكر في ارتكـاب الإثم والمعصية : والقصـة في عمق دلالتهـا ، أبلغ من أن يعلق عليهـا ، رغم أنني أحفظ هذه القصة عن الشريف الرضي إلا أنني لم أجد مصدرها .

جميع نهج البلاغة وأحسن سبكه فلأنه وهو العلوي الهاشمي قبس من نور ، فإذا كان القبس حارقاً فكيف بالنور الذي هو الإمام علي (عليه السلام) أمير المؤمنين .

وحول صحة نسبة نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) فإن لابن أبي الحديد رأياً ودفاعاً قوي الحجة نورده لأهميته حيث أنه في شرح النهج وفي معرض تصديه لشبهة أن نهج البلاغة مكذوب على الإمام علي (عليه السلام) وأنه من اختلاق الشريف الرضي يقول ابن أبي الحديد :

« لا يخلوا إمّا أن يكون كل « نهج البلاغة » مصنوعاً منحولاً ، أو بعضه والأول باطل لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم ، والمؤرخون كثيراً منه ، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك ، والثاني يدل على ما قلناه لأن من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفاً من علم البيان ، وصار له ذوق في هذا الباب لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح والأفصح وبين الأصل والمولد ، إذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء ، أو لإثنين منهم فقط ، فلا بد أن يفرق بين الكلامين ، ويميز بين الطريقتين . . » .

« وأنت إذا تأملت نهج البلاغة ، وجدته كله ماءً واحداً ، ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً ، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية ، وكالقرآن العزيز ، أوله كوسطه وأوسطه كآخره ، وكل سورة منه ، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور ، ولو كان بعض « نهج البلاغة » منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بالبرهان الواضح خلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) » .

ويضيف ابن أبي حديد :

« واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له بـه ، لأنّا متى فتحنا هذا البـاب ، وسلطنا الشكـوك على أنفسنـا على هـذا النحو ، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبداً ، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول : هذا الخبر منحول ؟ وهذا الكـلام مصنوع وكذلك مـا نقل عن أبي بكـر وعمر من الكـلام والخطب والمـواعظ والأدب وغـير ذلك وكـل أمر جعله هـذا الطاعن مستنـداً له فيـما يـرويـه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والأئمة الراشدين ، والصحابة والتـابعين ، والشعراء والمترسلين ، والخطباء ، فلنـاصري أمير المؤمنـين (عليه السـلام) أن يستنـدوا إلى مثله فيـما يـروونـه عنـه من نهج البـلاغـة وغـيره ، وهـــذا واضح »[1] .

وخلاصة القول«أن الشريف الرضي قد وفّق كما قال في اختيار محاسن الخـطب ثمّ محاسن الكتب ثمّ محـاسن الحكم والأدب . وربما جـاء في أثناء الإختيـار اللفظ المردود والمعنى المكـرر والعـذر في ذلـك أن روايات كـلامـه تختلف إختلافاً شديداً ، فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثمّ وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول ، أمـا بزيـادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة ، فيقتضي الحـال أن يعاد استـظهار الإختيـار ، وغيرة على عقائل الكلام . . بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقـع إليّ ، والحاصل في ربقتي دون الخـارج من يدي ، ومـا عليّ إلاّ بـذل الجهد وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه نهج السبيل »[2] .

إذن فإن دور الشريف الرضي في تـأليف وجمع « نهج البـلاغة » (من

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٠/١٢٨ .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة (مقدمة الشريف الرضي) ١/١٢ .

خلال ما تقدم) اقتصر على الإختيار الجيد والسبك المنظم وحسن التنسيق ، وهذه المهمة ليست بالسهلة ، وليس بمستطاع أحد كان أن يوفق لها إلّا أن يكون له نفس الشريف الرضي المفطور على العلم والأدب .

ونعود إلى بقية الشبهات التي استند إليها المشككون بالنهج ومنها :

الشبهة الثانية : خلو « نهج البلاغة » من الأسانيد .

رد الشبهة :

لم يذكر الشريف الرضي المصادر التي استقى منها خطب « نهج البلاغة » إلّا أنه تبين من خلال تضاعيف الكتاب إلى أنه لجأ إلى كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ فنقل عنه وعن المقتضب للمبرد ، وكتاب المغازي لسعيد بن يحي الأموي ، وكتب الجمل للواقدي ، والمقامات في مناقب أمير المؤمنين لأبي جعفر الإسكافي ، وتاريخ ابن جرير للطبري ، وحكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ، ورواية اليماني عن أحمد بن قتيبة وما وجد بخط هشام بن الكلبي ، وخبر ضرار بن حمزة الصدائي ، ورواية أبي جحيفة ، وحكاية ثعلب عن أبي الأعرابي ، ولعله في غير ما نقل عن هؤلاء ، نقل عن مصادر أخرى لم يصرح بها[1] .

وما يعزز هذا القول أن الشريف الرضي كان تلميذاً للشيخ المفيد الذي ذكر بعضاً من خطب الإمام في كتابه « الإرشاد » ، ولا يستبعد أن الشريف الرضي قد أخذ عنه ، ولقد ظفر السيد الشهرستاني بكتب قديمة العهد تشتمل على كثير من خطب الإمام علي (عليه السلام) ، ولا تعدم الخطبة سنداً أو أسانيد يجلب نحوها إعتماد النفس وهي :

١ ـ الكافي للشيخ الكليني محمد بن بابويه المتوفى سنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) ، ولا سيما في جزء روضة الكافي ، ففيه عشرات من

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/ ٧ .

خطب الإمام علي (عليه السلام) ، ضافية الذيول ، موصولة الأسناد بالأسناد ، وكذا في كتابه « الرسائل » .

٢ ـ كتاب التوحيد للشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي المتوفى سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) ، وفيه عدد لا يستهان به من خطب التوحيد وما يناسبه ، وكذلك في كتبه الأخرى ، كمن لا يحضره الفقيه ، وفي أماليه وفي مدينة العلم وفي الخصال ، وفي علل الشرائع ، وفي معاني الأخبار .

٣ ـ كتاب الإرشاد للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري المتوفى (٤١٣هـ/١٠٢٢م) في بغداد ، وفي كتابه أكثر من أربعين خطبه هو أستاذ الشريف الرضي على ما ذكرنا .

٤ ـ العقد الفريد للمؤرخ في الدولة المغربية أحمد بن عبد ربه المتوفى (٣٢٧هـ/٩٣٨م) .

٥ ـ تحف العقول للحسن بن شعبة الحراني من علماء المائة الثالثة للهجرة .

٦ ـ روضة الواعظين للفتال النيسابوري .

٧ ـ تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م) .

٨ ـ مروج الذهب ومعادن الذهب للمؤرخ المسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م)[١] .

وقد ذكر المسعودي « أن الناس قد حفظوا عن الإمام أربعمائة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة[٢] » ، قبل الشريف الرضي .

---

(١) الشهرستاني : ما هو نهج البلاغة ، ٤٦ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤٣١/٢ .

إلى ما هنالك من المصادر التي لا يتسع المجال لذكرها ، ولا يستبعد كما ذكرنا أن الشريف الرضي قد لجأ إليها ولم يذكرها ،(بالإضافة إلى مصادر قديمة تمّ ذكرها تحت عنوان من جمع نهج البلاغة) .

ولعل سبب إغفال الأسماء التي رجع إليها الشريف الرضي يعود إلى هدفه الذي حدده بقوله بأنه أراد تأليف : « كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ، في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه ، من خطب وكتب ومواعظ وآداب ، علماً أن ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها وعنه أخذ قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك سبق وقصروا ، وتقدم وتأخروا ، لأن كلامه (عليه السلام) الكلام الذي فيه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ، فأجبتهم إلى الإبتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ، ومذخور الأجر »[1] .

ولا ننسى أن الدول المتعاقبة ، وما مارسته من صنوف الإرهاب والإضطهاد وحرق للمكتبات كحريق بغداد الذي حدث سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) قد حال بيننا وبين الكثير من المصادر والكتب ، فلم تصل إلينا كاملة ، ولم يصل إلينا إلاّ ما سلم من الحرق والإتلاف ، وما صانته أيدي الحريصين على الفكر والعلم والأدب .

وخلاصة ما ذكرناه في الردّ على الشبهة الثانية أن الشريف الرضي كان هدفه جمع خطب الإمام علي (عليه السلام) وإخراج كتاب قيّم ينتفع به الناس ، لا مصدر ولذلك فإن الشريف الرضي لم يدقق في المصادر

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة (من مقدمة الشريف الرضي) ١١/١ .

والأسانيد ، ولم يسجلها في نهج البلاغة بل ترك صفحات بيضاء لما قد يستجد لديه ، « ومفصّلاً فيه أوراقاً لتكون مقدمة لإستدراك ما عساه يشذّ عني عاجلاً ويقع إليّ آجلاً »[1] ولأن نسبة هذه الخطب آنذاك للإمام علي (عليه السلام) واضحة كوضوح الشمس ، أي من المسلمات والبديهيات التي وجد معها الشريف الرضي بأن إيراد المصادر أمر غير ضروري ، لشيوع خطب وحكم وكلام الإمام علي (عليه السلام) بين شيعته ومحبيه وعامة الناس ، إذ أنّ نَفَسَه وعبقاته موجودة في كل نفحة من كلامه ، فكان همّ الشريف الرضي كما تبين : « جمع جواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية »[2] .

الشبهة الثالثة : رصد العديد من الأقوال والخطب منسوبة لغير الإمام علي (عليه السلام) .

رد الشبهة

يقول الإمام علي (عليه السلام) : « إعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل »[3] .

من هذا المنطلق فإن الحقيقة تدعونا لأن نتعرف إلى الأسباب الحقيقية الكامنة وراء نسبة بعض الخطب لغير الإمام علي (عليه السلام) .

إن المتتبع لسيرة الإمام علي (عليه السلام) ولأولاده الأئمة (عليهم السلام) من بعده يرى كيف أن الحكم الأموي ومن بعده الحكم العباسي ، إضطهدوا الشيعة وأذاقوهم الخوف والذل حتى اضطروهم للتقية في أعمالهم ولا يخفى على أحد أن معاوية سنّ سنّة سيئة وهي لعن إمام

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١/١٢ .
(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ١/١١ .
(٣) محمد عبده : نهج البلاغة ٣/١٥٨ ، الحكمة ٩٨ .

الهدى الإمام علي (عليه السلام) على المنابر ، وقتل أصحابه أمثال حجر بن عدي[1]، «ودفن بعضهم حياً»[2]، حتّى أن الرجل يقال له زنديق أو كافر ، أحب إليه من أن يقال : شيعة علي (عليه السلام)[3] . وقد حاولوا إطفاء ذكر الإمام علي (عليه السلام) وعدم رواية أي حديث أو منقبة عنه[4] ، وافتعلت أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة في أيام بني أمية[5] ، وهذا ما يؤكد سرقة أكثر الخطب المنسوبة للإمام علي (عليه السلام) وإلصاقها بمن هم أبعد ما يكون عن بلاغة الإمام وفصاحته ، وقد رصد السيد الشهرستاني في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) نقد لخطبة يقال أنّها لمعاوية وقد قالها عندما حضرته المنية، فيقول الجاحظ :

« منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الإخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والإذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي وبمعانيه بحاله منه بحال معاوية» . . إلى أن يقول الجاحظ : « والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منه »[6] . وفي هذا تشكيك بنسبة الخطبة إلى معاوية مع الخوف من المجاهرة بذلك ، ولا يستبعد أن الذين جاؤوا من بعد الإمام (عليه السلام) أنّهم نحلوا من خطبه أو اقتفوا أثره في خطبه وأفرغوها بألسنتهم .

وهنا نذكر مقارنة لطيفة لابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة يقارن

---

(١) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ١ / ٣٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٧/ ٩٣ . (كعبد الرحمن بن حسان العنزي) .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ١١/ ٤٦ .

(٥) المصدر نفسه ١١/ ٥٣ .

(٦) الشهرستاني : ما هو نهج البلاغة ؟ ٥٣ .

فيها خطبة الجهاد للإمام علي (عليه السلام) بخطبة ابن نباتة المتوفى سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م) ، فيقول إبن أبي الحديد: « واعلم أن التحريض على الجهاد والحض عليه قد قال فيه الناس فأكثروا وكلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) فانظر إليها (خطبة ابن نباتة) وإلى خطبته (عليه السلام) بعين الإنصاف تجدها بالنسبة إليه كمخنث بالنسبة إلى الفحل أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد . . . إذا تأمله الخبير عرفه ، ومع هذا فهي مسروقة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) » .

« وأما باقي خطبة ابن نباتة فمسروق من خطب لأمير المؤمنين (عليه السلام) واعلم أني أضرب لك مثلاً تتخذه دستوراً في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلام الكتّاب والخطباء بعده كابن نباتة والصابي وغيرهما »[١] .

« فلينظر الناظر في هذا الكلام ؛ كلام ابن نباتة وكلام الإمام علي (عليه السلام) فإنّه وإن كان قد أخذ من صناعة البديع بنصيب إلاّ أنّه في حضيض الأرض ، وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في أوج السماء ومثله بالقياس إلى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) كدار مبنية من اللبن والطين ، ومموّهة الجدران بالنقوش والتصاوير مزخرفة بالذهب من فوق الجص والإسفيداج[*]، «بالقياس إلى دار مبنية بالصخر الأصم الصلد المسبوك بينه عمد الرصاص والنحاس المذاب ، وهي مكشوفة غير مموّهة ولا مزخرفة ، فإنّ بين هاتين الدارين بوناً شاسعاً[٢] .

أمّا صاحب صبح الأعشى فيقول عن إبن نباته ، كان بارعاً في

---

(١) ابن أبي الحديد : م . س ٢/٨٢ .

(*) الأسفيداج : رماد الرصاص .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢/٨٤ .

الأدب وكان يحفظ نهج البلاغة[١] ، وهذا دليل آخر على شيوع (نهج البلاغة) كلام أمير المؤمنين قبل جمعه في كتاب نهج البلاغة واللجوء إليه كمصدر .

أمّا عن تغلغل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في شعر المتنبي المتوفى سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) ، أي قبل ولادة جامع نهج البلاغة الشريف الرضي بخمس سنوات ، فالشواهد كثيرة وقد جمعها السيد عبد الزهراء الخطيب في كتابه « مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبو الطيب المتنبي » وحسبنا منها على سبيل المثال لا الحصر ما قاله المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

« إذا قصرت يدك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر »[٢] .

أمّا أحمد أمين ففي تعليقاته على البصائر والذخائر ما يؤكّد شيوع نهج البلاغة بين الناس الإقتباس عن الإمام علي (عليه السلام) أمير المؤمنين والسرقة الأدبية عنه كانت تجري على قدم وساق دونما رادع .

وفي معرض تعليقه على كلام أبي حيان التوحيدي ، وقد روى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المروي في الكلمات القصار من « نهج البلاغة» : « لا مال أعود من العقل » ونسبته إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول أحمد أمين « ليس هذا من حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما هو من كتاب « نهج البلاغة » ولم يقل من كلام علي (عليه السلام) تورعاً! لأنه لا يعتقد بصحة نسبة النهج إلى الإمام علي (عليه السلام) وقد نسي أن التوحيدي مات سنة

---

(١) الخطيب : مائة شاهد وشاهد من معاني كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي ١٢ عن صبح الأعشى ١٤٦/٤ .
(٢) المصدر نفسه، ٨٩ .

(٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) أي قبل صدور نهج البلاغة بعشرين عاماً ، علماً أن الكلمات التي رواها التوحيدي مروية في « العقد الفريد » (٢/ ٢٥٢) عن الإمام علي (عليه السلام) والأستاذ أحمد أمين أحد المشرفين عليه والمكلفين بتصحيحه وتحقيقه[١] ، فكان أجدر به أن يضع الأمور في نصابها بعيداً عن التعصب والأهواء .

وخلاصة القول في ردّ الشبهة الثالث أن الشريف الرضي (قده) أحق بالتصديق لما عرفناه من صدقه وورعه وتقواه وعزّة النفس وعفّتها ، ولا يستبعد أن من جاء بعد الإمام علي (عليه السلام) إقتفى أثره وقلده وأفرغ بعض خطبه على لسانه .

« فإن شئت أن تزداد استبصاراً ، فانظر القرآن الكريم ، واعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أعلى طبقات الفصاحة ، وتأمله تأملاً شافياً ، وانظر ما خص به من مزية الفصاحة ، والبعد عن التقعير[*] والتعقيب والكلام الوحشي الغريب ، وانظر كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فإنه تجده مشتقاً من ألفاظه ، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه ومحذواً به حذوه ، ومسلوكاً به في منهاجه، فهو وإن لم يكن له نظيراً ولا نداً، يصلح أن يقال أنه ليس بعده كلام (عليه السلام) ، وهذا أمر لا يعلمه إلاّ من ثبت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة ، وليس كل الناس يصلح لإنتقاء الجواهر بل لإنتقاء الذهب « ولكل صناعة أهل ، ولكل عمل رجال »[٢] .

الشبهة الرابعة : شبهة كثرة الخطب وطولها ، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين .

---

(١) المصدر نفسه ، ١٣ .

(*) التقعير : التعمق في الكلام والتشدق به (ابن أبي الحديد : م . ن) ٢/ ٨٣ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢/ ٨٣ .

يقـول المسعـودي : « والـذي حفظ النـاس عنـه ـ أي الإمـام عــلي (عليـه السـلام) ـ في سـائـر مقـامـاتـه أربعـمائـة خـطبـة ونيف وثـمانــون خـطبة . . . »[1] وفي هـذا ما يؤكـد أن ملكة الحـافظة كـانت عنـد النـاس بالشكل الذي يسمح باستيعاب هذا العدد من الخطب ، فهذه الشبهـة هي أيضاً ساقـطة إذا ما قـارنّا طـول خطب الإمـام (عليه السـلام) بالمعلقـات والقصائد التي وصلتنا من العصر الجاهلي بحالتها الحاضرة ، وهـذا يعني أن التـدوين لم يكن خافيـاً على أحـد وإن لم يكن بـالشكـل المعـروف في عصر التدوين ، وأن الكثيرين كانت عندهم القـدرة على الحفظ وابن عبـاس حبر الأمــة هــو أكــبر دلـيــل عــلى ذلــك ، فـقــد حـفظ جــلّ أحــاديـث الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ويقـال عنـه أيضـاً أنّـه كـان يحفظ القصائد الطوال ، وطبيعي أنّ ابن عباس ليس وحده الذي كان يتمتع بهذه الحدة ، وهذا الذكاء وهذه الفطنـة وإن لم يكن غيره بنفس النسبـة لأن ابن عباس يعتبر تلميذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو إبن عمـه ، وتلميـذ الإمام عـلي (عليه السـلام) وهو أيضـاً إبن عمه ذريـة بعضها من بعض .

الشبهـة الخـامسة : شبهة الإنباء بالغيب .

ردّ الشبهـة

بعـد وصف الإمام عـلي للأتـراك قـال لـه بعض أصحـابـه في ذلـك المقـام : « لقد أعـطيت علم الغيب فضحك الإمـام علي (عليـه السـلام) وقـال للرجل ، وكـان كلبياً : يـا أخـا كلب ليس هـذا بعلم غيب ، وإنّما تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب علم الساعـة ومـا عـدده الله سبحـانـه

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٢/٤٣١ .

بقـوله : ﴿إنّ الله عنـده علم الساعـة وينـزل الغيث ويعلم مـا في الأرحـام﴾[1] من ذكـر أو أنثى ، وقبيـح وجميـل ، وشقي وسعيـد ، ومن يكـون للنـار حطباً ، أو في الجنان للنبيين مرافقاً ، فهـذا علم الغيب الذي لا يعلمـه إلاّ الله ومـا سـوى ذلـك فعلم علّمـه الله نبيـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فعلمنيـه ودعا لي بـأن يعيه صـدري وتضطم(*) عليـه جوانحي »[2] وهـذا تصريـح بـأنّـه تعلّم من رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) ، وعن الإمام علي (عليه السلام) : « علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب »[3] .

هذا العلم هو مما أفاضه الله سبحانـه وتعالى عـلى رسولـه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبالقدر الذي يساعد على نشر الـرسالـة ، وزرع الثقة والهداية والموعظة للمؤمنين مما جرى وسيجري عـلى المؤمنين وبـالقدر الـذي يستدعيه منصب النبوة :

﴿ وكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ من أنْبَاءِ الرُسُـلِ مَا نُثَبِّتْ فُؤَادك وجَـاءَكَ الحَقُّ وَمَوعِظَةٌ وَذِكرىٰ للمُؤْمِنِين ﴾ (هود/١٢٠) .

﴿ ذَلِـكَ مِنْ أنبَـاءِ الغَيْبِ نُـوحِيـهِ إليـك ﴾ (آل عمـران/ ٤٤ ويوسف/١٠٢) .

فالأنبياء والأولياء والمؤمنون يعلمون من الغَيب ما أظهره الله عليهم ، وأعلمهم به .

﴿ وعلّم آدَمَ الأسـمَاءَ كُلّهَا ثُمّ عَـرضَهَا عَـلَى المَلاَئِكَـةِ فَقَـالَ أنبِئُـونِي بأسماءِ هَؤُلاَء إن كُنْتُم صَادِقِين ، قالوا سُبْحـانَك لا عِلْمَ لَنَـا إلاّ ما عَلّمْتَنَـا إنّك العَلِيمُ الحَكِيْمُ ﴾ (البقرة/٣١،٣٢) .

---

(١) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

(*) تضطم : هو افتعال الضم ، أي تنضم عليه جوانحي ، وتشتمل عليه .

(٢) محمد عبده ، نهج البلاغة ، ١١/٢ .

(٣) البحراني : شرح نهج البلاغة ٨٢/١ .

فعلم الغيب الذي تنبأ به الإمام علي (عليه السلام) وهو ربيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلميذه وباب مدينة علمه ، هو ممّا أفاض به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الإمام علي (عليه السلام) وعلمه إيّاه (تعلم من ذي علم) .

﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلَّا مَنْ ارتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن/٢٦، ٢٧) .

أفلا يعلم العلم أقرب الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأرضاهم عنده وأحبهم إليه ، وآثرهم لديه ممن قال له (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي »[١] .

وخلاصة الردّ على هذه الشبهة الخامسة : إن علم الغيب الذي قاله الإمام علي (عليه السلام) هو علم تعلمه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ممّا أنبأه به العليم القدير ، ولأن الإمام علي (عليه السلام) نفسه أنكر العلم بمعرفة الغيب من غير ذلك وهو الذي كان يقول :

« إياكم والتعلم للنجوم إلّا ما يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر إنّما المنجم كالكاهن ، والكاهن كالكافر ، والكافر في النار »[٢] .

ويقول الإمام علي (عليه السلام) : « إذا حدثتكم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلئن أخرّ من السماء أحبّ إليّ من أن أكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣] . وفي كل تنبؤاته كان يقول (عليه السلام) : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول ، وفي هذا دحض لشبهة الإنباء بالغيب .

---

(١) الترمذي : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، ٣٠١/٥ ومسلم ، صحيح مسلم ٣٦٠/٢ .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ١٢٨/١ .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦٧/٢ .

الشبهة السادسة : شبهة المحسنات اللفظية : (السجع ، الكلام المنمق الإيجاز) .

رد الشبهة

أنّ من يقرأ خطب الإمام علي (عليه السلام) يرى أن السجع ليس موجوداً في كل الخطب ، وعندما نجد السجع نجده بسيطاً دون كدّ أو تكلّف أو صنعة يورده على البديهة ، وليس هذا من المستصعب على الإمام علي (عليه السلام) ، وهو الذي تربى في أحضان الرسالة واكتحلت عيناه بترتيل القرآن الكريم الذي لا تكاد تخلو صورة منه من السجع وعلى سبيل المثال لا الحصر : سورة الصافات ، والواقعة ، والرحمن ، النجم ، ق ، التي تكاد تكون كلها سجع .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **وَالنَّجْمِ إذا هَوَى ، ماضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوى ، ومَا يَنْطُقُ عن الهوى إن هو إلاّ وحي يُوحى . . .** ﴾ (النجم/١،٢،٣،٤) فلو كان السجع عيباً في الكلام لما اشتمل عليه القرآن الكريم ، أضف إلى ذلك السجع العفوي أهوى إلى الأسماع وأحب إلى القلوب .

ولا ننسى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استعمل السجع في خطبه ، وكذلك الخلفاء الراشدين من بعده ، ومن خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومواعظه نقتطف :

« أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلّوا بالليل ، والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »[1] .

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً : « والله لتموتنّ كما تنامون ، ولتبعثنّ كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون

---

(١) ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ١/١٣٠ .

بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وإنّها لجنة أبداً أو لنار أبداً »[١] .

ومن خطبة الخليفة أبي بكر (رض) نقتطف : « أيها الناس ، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة »[٢] .

ومن خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) : « أللهم قد ضرع الصغير ، ورقّ الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى »[٣] .

وفي خطبة للخليفة عثمان (رض) : « وهو الذي لم يعرف عنه أنه كان خطيباً »[٤] نلمح : « إنّ لكل شيء آفة ، وأن لكل نعمة عاهة ، في هذا الدين عيّابون ، ظنّانون ، يظهرون ما تحبّون ، ويسرّون ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون »[٥] .

أما الإمام علي (عليه السلام) ، فقد اشتهر أنّه كان خطيباً بليغاً منذ نشأته الأولى خاصة وأنّه بين أحضان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تربّى ومن معين الله إغترف وارتوى »[٦] .

وإني إذ اقتطع هذه الفقرة لا لأثبت أن السجع من الأمور الضرورية لجمال اللغة وبلاغتها،ولا لأثبت بلاغة الإمام علي (عليه السلام) وهذا أمر بديهي وإنما لأثبت صحة نسبة نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) أمير المؤمنين وأمير الفصاحة والبلاغة والبيان ، وقد علم الناس كافة أنه هو

(١) معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ٤٤ .
(٣) الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ١/١٧٦ .
(٤) معروف : م . س ٤٩ .
(٥) معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ٤٩ .
(٦) المصدر نفسه .

الذي ابتدع وأنشأ علم النحو والعربية ، « وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله »[1] .

الشبهة السابعة : شبهة الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية

ردّ الشبهة

حفظ الإمام علي (عليه السلام) القرآن الكريم ،وكان من كتبة الوحي وجامعي القرآن ، كما كان الإمام علي (عليه السلام) تلميذ القرآن وربيب الوحي والرسالة في بيت النبوة فكان باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكيف لتلميذ القرآن الكريم أن لا يعرف الحكمة وعلم الكلام والمنطق ، والقرآن الكريم يشتمل على هذه العلوم جميعها ، بل أن القرآن الكريم يحثّ على التعقل والتدبّر والإستبصار والنظر .

﴿ أوَ لَمْ يَتَفَكّرُوا في أنفسهم مَا خَلَقَ الله السَّمواتِ والأرْضَ وَمَا بَيْنَهُما إلاّ بالحَقّ وأجلٍ مُسَمى ﴾ ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فَيَنْظِروا كَيْفَ كان عَاقِبَةِ الذينَ من قَبْلِهِم ﴾ ﴿ ومِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُم أزْواجاً لِتَسكِنُوا إلَيْها وجعَلَ بَيْنَكُم مَودّة وَرَحْمَةً إنّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكّرُونَ ﴾ ، ﴿ وَمن آياتِهِ خَلْقَ السَّموَاتِ والأرْضِ واختلافِ ألْسِنَتِكُم وألْوانِكُم إنّ في ذلك لآياتٍ للعالَمِينَ ﴾ ﴿ لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم ٨، ٩، ٢١، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) أضف إلى ذلك إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت مهد الحضارات والرسالات السماوية ، والإطلاع عليها لم يكن متعسراً ، والقرآن الكريم يتناول موضوع الرسالات السابقة وفكرها ، والتوراة والإنجيل ليسا خافيين على أحد ، بالإضافة إلى العصر الجاهلي الذي كان له نظرته وفكره في عبادة الأصنام والشمس والقمر والنور والريح

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ١/ ٢٠ .

والنار والمطر ، وقد نزل القرآن الكريم عربياً ليدحض هذه الأفكار وهذه الحجج والنظريات الخاطئة ، بالحجة والمنطق ، وكانت التعبئة الفكرية والإطلاع على هذه الأفكار والفلسفات من الأساليب التي تساعد الرساليين في إقناع الناس باعتناق الدين الجديد (بعثة جعفر بن عقيل إلى الحبشة ومنطق الحوار الفلسفي والنقاش المنطقي الذي جرى هناك) .

والإمام علي (عليه السلام) الذي شارك فكرياً وجهادياً في نشر الدعوة الإسلامية لا يعقل أن يكون بعيداً عن هذه الأجواء الفلسفية ، كما لا يمكن القول بأن الفلسفات الإغريقية (اليونانية) كانت غائبة ، فلو كانت كذلك لما وصلت إلى عصرنا الحاضر ، ولذلك فإنها كانت موجودة وإن لم يكن بالشكل الذي عليه في عصر الترجمة .

وعلى هذا فإن التمازج في الفلسفات كان حاصلاً ، والإمام علي (عليه السلام) قمة الإبداع الفكري والفلسفي عاصر هذه الفلسفات كلها ، واختلط بالناس وذاق منهم الظلم ، وهو الإمام المستحق المحروم ، غصبوه حقّه وناصبوه العداء وحاربوه .

درس الإمام علي (عليه السلام) الناس وصنّف نفسياتهم وعرف منهم المؤمنين الصابرين والأوفياء ، وعرف المنافقين والناكثين والمارقين ، ونظر إلى تكوين النفس البشرية ، وإلى الكون بسمائه وأرضه وأفلاكه ونجومه وليله ونهاره . . . فكانت له نظرته الفلسفية الخاصة عمّقتها التجربة الإجتماعية التي خاضها ، والنظرة الواسعة إلى الكون يغذيها الفكر الإيماني الثاقب النيّر بنور الإسلام وهو من « بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، وعنصر الرحمة ، ومعدن العلم والحكمة »[1] .

ومن تأخر عنه من الفلاسفة أخذ عنه وتعمّق في آيات التوحيد

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢/٢٨٣ .

والمعارف القرآنية وما وصل إليهم من خطب الإمام علي (عليه السلام) ، وحكمه وكلامه (عليه السلام) .

الشبهة الثامنة : شبهة التعرض للصحابة في نهج البلاغة : أو « الخطبة الشقشقية »

ردّ الشبهة

أورد السيد الشهرستاني « الخطبة الشقشقية » من أكثر من مصدر: من« نهج البلاغة » ومن نسخة الوزير الآبي، ومن الشيخ المفيد في الإرشاد ومن البرقي في علل الشرائع ، ومن الجلودي عن كتاب معاني الأخبار .

وذكر الشهرستاني الناقلون للخطبة الشقشقية قبل الشريف الرضي ، ومنهم أبو علي الجبائي المتوفى سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) ، حسبما نقل الشيخ إبراهيم القطيفي في كتابه الفرقة الناجية ، وكذلك إبن عبد ربه المتوفى سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) في العقد الفريد ، وكذلك البرقي المتوفى سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) نقل عن إبن بابويه القمي في « معاني الأخبار »[٢] وينقل البحراني عن الشيخ أبي محمد بن الخشاب في أن الناس ينسبونها إلى الشريف الرضي ، ويقول : لا والله ومن أين للرضي هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه على أني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل أن يخلق الرضي فضلاً عنه ، وأقول (يعني الشيخ الخشاب) : وقد وجدتها في موضوعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدّة أحدها أنها متضمنة كتاب الإنصاف لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي ، الثاني أني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكان وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضي بنيّف وستين سنة ، والذي يغلب على ظني أن تلك

---

(١) الشهرستاني : ما هو نهج البلاغة ؟ ٢٣ .

النسخة كانت قبل وجود إبن الفرات بمدّة[1] ، وهذا ما يؤكـد صحة إسناد الشقشقية إلى الإمام علي (عليه السلام) .

مـا يؤخـذ من أن هــذا الكـلام لا يمكن أن ينسب لـلإمـام عـلي (عليـه السلام) لما تضمنه من تعـريض بالصحـابة، فهـذا الإتهـام مردود، ولأنه يدفع بمحبي الإمام عليٍ (عليه السـلام)لإنكار نهج البـلاغة لمجـرد أنّه يتضمن كلاما جميلا يمدح فيـه الصحابـة ، وكذلـك الخطبـة التي يؤبّن فيها الإمام عليٌ (عليه السلام) عمر (رض) في كلام كله مديح وذلك في خطبته « لله بلاد فلان » وفي بعض الخطب « لله بلاد عمر » :

« لله بلاد فلان ، فلقـد قوّم الأود ، وداوي العمـد ، وأقام السنـة ، وخلف الفتنة ، ذهب نقي الثوب ، قليل العيب ، أصاب خـيرها ، وسبق شرهـا أدّى إلى الله طـاعتــه ، واتّقـاه بحقّــه ، رحـل وتــركهم في طـرق متشعبة ، لا يهتدى بها الضال ، ولا يستيقن المهتدي »[2] .

وفي أصحـاب النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : « لقـد رأيت أصحــاب محمـد (صــلى الله عليـه وآلــه وسلم) فـما أرى أحــداً منكم يشبههم » .

وإذا أمعنا النظر في خطبة الشقشقية نراها لا تخرج عن طور الشكايـة الخفيـة والتظلم بـزفرات وحسرات وتنهدات بـدليـل قـولـه لابن عمـه ابن عباس :

« هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت» . قالها بعـد أن فاضت نفسه حزناً وألمـاً مما جـرى له في حيـاته ، فقـد صبر الإمـام : « وفي العـين قذىً وفي الحلق شجى » ويكفي ذلـك للكنايـة عن شدّة مـا يضمره

(١) البحراني : شرح نهج البلاغة ١/٣٥٢ .
(٢) عبده : نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٣ ، ٢/٢٢٢ .

الإمام علي (عليه السلام) من التأذي والغبن بسبب سلبه حقه وإرثه ، وهو يعلم أنّه أحقّ الناس به ويعلم أيضاً كل الصحابة ممن شهد بيعة « يوم الغدير » للإمام علي (عليه السلام) ونكثها في « يوم السقيفة »[١] .

هذه الخطبة ، وكما قلنا ، هي نوع من الشكاية والتظلم ، ونوع من النقد المهذب واستذكار لوقائع حدثت مع الإمام ، وأمام الخاصة المقربين من الإمام إلّا أن يكون الإمام محروم حتى من الشكوى والتألم والإستذكار بحسرة ، وهذا كله بعيد كل البعد عن التعريض العلني الذي جرى بين الصحابة أنفسهم وعلى سبيل المثال نستعرض :

١ ـ إتهام عمر (رض) خالد بن الوليد بالزنى ، والطلب إلى أبي بكر(رض) بمعاقبته لقتله مالك بن نويرة والإختلاء بأرملة مالك ليلة مقتله ، وكان جواب أبي بكر (رض) : « هيه يا عمر تأول فأخطأ »[٢] .

٢ ـ وقول عمر (رض) أيضاً : « بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها »[٣] .

٣ ـ ما جرى في عهد عثمان من أذية للصحابة ومنهم أبي ذر الغفاري الذي نفي إلى الربذة ، وابن مسعود الذي ضرب حتى كسرت أضلاعه[٤] ، وضربه عماراً ، حتى أخرجت عائشة ثوباً من ثياب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنصبته في منزلها وكانت تقول هذا ثوب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يبل وعثمان أبلى سنته[٥] .

---

(١) راجع : الأميني ، موسوعة : الغدير في الكتاب والسنة والأدب ط دار الكتاب اللبناني (إثنا عشر مجلداً) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢٤٢/٣ .

(٣) محمد عبده : نهج البلاغة ٢٠٠/٣ وابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦/٢ .

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١٩٩/١ .

(٥) المصدر نفسه ٢١٥/٦ .

قالوا إن أول من سمّى عثمان نعثلاً عائشة ، والنعثل : الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً[1] .

وفي موضع آخر أنّها أصدرت فتوى بقتله قائلة : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » حتى قال لها ابن كلاب :

منك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا أنه قد كفر[2]

فهل وصل الإمام علي (عليه السلام) في شكواه ونقده للصحابة إلى هذا الحد ؟ أضف إلى ذلك حرمانه من الولاية والوصاية ومن حقّ زوجته وحقّه ، وحق أولاده بفدك التي حرم منها من ثلاثة خلفاء حتى أقطعها الثالث أي عثمان لمروان بن الحكم . . . يا للعجب تسلب الزهراء إرثها في فدك[*] ويقول لها الخليفة الأوّل أبو بكر (رض) : «إنّ أباك يقول : نحن

---

(١)(٢) الطبري : م . س ١٧٢/٥ .

(*) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله في سنة سبع صلحاً ، وذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزل خيبر ، وفتح حصونها ، ولم يبق إلا ثلثا ، واشتد بهم الحصار ، فراسلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسألونه أن ينزلهم على الجلاء ، ففعل ، وبلغ ذلك أهل فدك ، فأرسلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك ، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . الحموي : معجم البلدان ، ٢٣٨/٤ .

ويظهر من بعض الروايات أن الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نجحت بعض الشيء في استنكارها وإعلان المعارضة فألجأت الخليفة إلى أن يسلمها فدكاً ، وكاد الأمر يتم لولا تدخل الخليفة عمر ، وقال له : ما هذا ؟ .

فقال : كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها . . .

فقال : فماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ؟ .

ثم أخذ الكتاب فشقّه .

وعلى هذا فإن فدكاً أصبحت من مصادر المالية العامة للمسلمين على عهد أبي بكر ، أما=

معاشر الأنبياء لا نورث » ويعطيها عثمان (رض) هدية إلى مروان ابن الحكم(١) .

ويسلب الإمام علي (عليه السلام) حقّه بالولاية بحجة : « أن قريشاً كرهت أن تجتمع النبوة والإمامة في بني هاشم (كما قال عمر

= بعد ذلك فيمكننا القول أنها تقلبت بين أخذ ورد إلى أهل البيت (عليهم السلام) على النحو التالي :

في عهد عمر : دفع فدكاً إلى ورثة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

في عهد عثمان : أقطعها مروان بن الحكم فتوارثها أبناؤه ، فلما وصلت إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز : ردّ فدكاً على ولد فاطمة (عليها السلام) ، علماً أن الإمام علي (عليه السلام) ردها إلى أولاده من فاطمة (عليها السلام) من قبل ولاية عمر بن عبد العزيز .

في عهد يزيد بن عبد الملك : انتزعها من أولاد فاطمة فصارت في أيدي بني مروان حتى انقرضت الخلافة الأموية .

في عهد أبي العباس السفاح : ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

في عهد المنصور : قبضها من بني الحسن .

في عهد المهدي : ردها على الفاطميين .

في عهد موسى الهادي : قبضها من أيديهم وبقيت في أيدي العباسيين حتى خلافة المأمون .

في عهد المأمون : ردها على الفاطميين سنة ٢١٠هـ .

في عهد المتوكل : انتزعها من الفاطميين وأقطعها عبد الله بن عمر البازيار ، وكان من ضمنها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). بيده الكريمة ، فوجه عبد الله بن عمر البازيار رجلاً يقال له : بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصرم تلك النخيل ، ثم عاد ففلج وينتهي بهذا تاريخ فدك المضطرب الذي لا يستقيم على خط ولا يجمع على قاعدة وإنما حاكت أكثره الأهواء ، وصاغته الشهوات على ما اقتضته المطامع والسياسات الوقتية .

وللمزيد يراجع كتاب الشهيد السيد محمد باقر الصدر : فدك في التاريخ ط دار التعارف ، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(١) ابن أبي الحديد : م . س١/١٩١ .

(رض) لابن عباس (رض))[1] .

وكيف يكره الناس أمراً اختاره الله ؟ .

وعندما تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة ، نكث الكثير من الصحابة بيعته وجيشوا الجيوش وأعلنوا الحرب عليه ، حتى اضطر لمحاربة الناكثين لبيعته والقاسطين ، والمارقين والخارجين .

كل هذه الإضطرابات وكل هذه المآسي والآلام في قلب الإمام علي (عليه السلام) وهو ساكت ضناً منه بوحدة المسلمين ويمنع الإمام (عليه السلام) حتى من الشكوى بحجة التعرض للصحابة فهذا ليس من العدالة في شيء .

وخلاصة القول في ما يخصّ ردود الشبهات التي تحوم حول « نهج البلاغة » نأمل أن نكون قد تمكّنا في هذه العجالة من البحث أن نردّ على هذه الشبهات التي حامت حول صحة نسبة « نهج البلاغة » للإمام علي (عليه السلام) أمير المؤمنين وسيد البلاغة وإمام الفصاحة ، حتى لا نخرج عن موضوع بحثنا الأساسي الذي هو « المرأة في نهج البلاغة » إنّ تثبيت النهج أمر ضروري لموضوعنا وذلك حتى نتعامل مع النصوص التي تتعلق بـ« المرأة في نهج البلاغة » على أسس ثابتة وحتى لا نصطدم خلال سيرنا بأي مشكلة تتعلق بالإنكار أو التثبيت ، وإن كنّا قد استطردنا في بعض الشبهات ، فذلك مما تقتضيه أمور الدفاع عن صحة نسبة نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) ، والتي أوجزنا فيها بعضاً من دفاعات كبار العلماء والمجتهدين والأدباء .

* * * * *

---

(١) الطبري : م . س ٣١/٥ .

الباب الثاني

المرأة في ميزان الإمام علي (عليه السلام)

المرأة في نهج الإمام علي (عليه السلام)

« المرأة في نهج البلاغة » تطل برأسها من خلال النصوص وفي مناسبات متعددة ، فهي تارة إمّاً رؤوفاً ، وطوراً زوجة وفية محبة يذرف الإمام علي (عليه السلام) الدموع لفراقها ، وتارة أخرى عدوة تجيش الجيوش وتعلن عليه الحرب ، وأحياناً كثيرة إمرأة مبايعة موالية للإمام علي (عليه السلام) تمتشق السلاح لتدافع عن قضيته العادلة في الولاية ، وفي كل هذه المناسبات يرسم الإمام علي(عليه السلام) صورة للمرأة ، فهي وكما نلحظ من خلال النصوص وكما يعبر عنها : الفتنة ، شر لا بدّ منها ، ناقصة العقل ناقصة الحظ ، قليلة الدين ، لا تستأهل المشورة ، يجب حجبها وعدم الأخذ برأيها وإن أخذ رأيها فهي لا تطاع . . . إلى آخر المعزوفة التي يتمسك بها الرجال وكأنها ورقة بيدهم تدين المرأة وتجعلهامواطنة من الدرجات الأخيرة من خلال هذه النصوص التي تتناول الصفات التي ذكرناها (وسنعود لاحقاً لعرض هذه النصوص) .

إلاّ أنه وقبل الدفاع عن المرأة يجدر بنا أن نفهم النصوص والمناسبات التي قيلت بها وهل هي حقاً كما يفهمها البعض أو كما يحلو لهم أن يفهموها

ويفصلوها على أقيستهم وأمزجتهم ، أم أن هذه النصوص حقاً هي على ظاهرها عامة وتطال جميع النساء، أم أنّها خاصة ، وهل أن هذه النظرة تتوافق مع الإسلام ، وهل للإمام علي (عليه السلام) نظرة تغاير نظرة الإسلام فيظلم المرأة، وحاشى له أن يفعل ذلك وهو الإمام المعصوم(*)، أم أن البعض في بعده، عن فهم النصوص ، ظلم الإمام (عليه السلام) كما ظلم المرأة ، وهذا ما سنبيّنه من خلال عرض مكانة المرأة في الإسلام ، ونظرة الإمام علي (عليه السلام) للمرأة ، ليصار إلى إجراء مقارنة ومن خلال العرض بين النظرتين ، ومعرفة ما إذا كانت صورة « المرأة في نهج البلاغة » تختلف عن صورة المرأة في الإسلام أم تتوافق معها .

مكانة المرأة في الإسلام

ما من رسالة سماوية أحاطت المرأة بكل الإحترام والتقدير والتكريم كالإسلام ، فلقد أتى الدين الإسلامي بالعزة والكرامة للإنسانية كلها وخصّ المرأة ذلك المخلوق الضعيف بأكثر من توصية إنتشلها بها من براثن الجهل والتخلف والإحتقار والمهانة التي كانت ترزح تحتها في ظل الجاهلية .

فقد كانت المرأة نذير شؤم يجب التخلص منها ومن عارها ، بوأدها وكانت إرثاً يرثها الإبن عن أبيه فيتزوجها وقد صوّر لنا القرآن الكريم الصورة البشعة التي كانت تعيش في إطارها المرأة فيقول الله تعالى في كتابه العزيز :

(*) عقيدتنا في عصمة الإمام : نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً أو سهواً ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه ، حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة ، بلا فرق .

المظفر : عقائد الإمامية ٩١ .

﴿ وإذَا بُشِّرَ أحَدُهُم بالأنثى ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَداً وهُو كَظِيمٌ * يَتَوارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوْءِ ما بُشِّرَ بِهِ أيُمْسِكُهُ عَلَى هَونٍ أم يَدُسُّهُ في التُّرابِ ألاَ سَاءَ ما يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل/٥٨- ٥٩) .

﴿ وإذَا المَوْؤدَةُ سُئِلَتْ بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير/٨ - ٩) .

﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النّساءِ إلاّ ما قَدْ سَلَفَ إنّه كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (النساء/٢٢) .

فأتى الإسلام ليحرر المرأة من هذه العبودية وهذا الظلم ويبني المجتمع الإنساني الجديد على أسس العقيدة الجديدة الداعية إلى توحيد الله واحترام حقوق الإنسان ورفض الظلم والقهر والتعبد لغير الله .

وبموجب الدين الإسلامي الحنيف أصبحت المرأة تتمتع بكافة الحقوق والإمتيازات التي كان يتمتع بها الرجل ، بوصفه إنساناً كاملاً ، وهذه الحقوق هي ؛ :

المساواة ، العدل ، حق العيش ، وحق اختيار المصير ، حق المشاركة في القرار السياسي ، حق اختيار الزوج بملء إرادتها والحقوق المدنية والحقوق التجارية كحقوق البيع والشراء ، وحق احتفاظ المرأة بمالها مع حقها بالمهر والهدية ، وحقها على الزوج بالإنفاق عليها واحترامها وتقديرها .

وباختصار : المرأة في الإسلام شخصية مستقلة تتمتع بكافة الحقوق لإنسانية ، وتلتزم بكافة الواجبات وعلى قدم المساواة مع الرجل إلاّ فيما تعلق بالأحكام المبنية على التكوين الجسدي لكل منهما فهي المرأة وهو لرجل .

وأراح الإسلام المرأة من كل أنواع الأنكحة الجاهلية ومنها :

ويفصلوها على أقيستهم وأمزجتهم ، أم أن هذه النصوص حقاً هي على ظاهرها عامة وتطال جميع النساء، أم أنّها خاصة ، وهل أن هذه النظرة تتوافق مع الإسلام ، وهل للإمام علي (عليه السلام) نظرة تغاير نظرة الإسلام فيظلم المرأة، وحاشى له أن يفعل ذلك وهو الإمام المعصوم(*)، أم أن البعض في بعده، عن فهم النصوص ، ظلم الإمام (عليه السلام) كما ظلم المرأة ، وهذا ما سنبيّنه من خلال عرض مكانة المرأة في الإسلام ، ونظرة الإمام علي (عليه السلام) للمرأة ، ليصار إلى إجراء مقارنة ومن خلال العرض بين النظرتين ، ومعرفة ما إذا كانت صورة « المرأة في نهج البلاغة » تختلف عن صورة المرأة في الإسلام أم تتوافق معها .

مكانة المرأة في الإسلام

ما من رسالة سماوية أحاطت المرأة بكل الإحترام والتقدير والتكريم كالإسلام ، فلقد أتى الدين الإسلامي بالعزة والكرامة للإنسانية كلها وخصّ المرأة ذلك المخلوق الضعيف بأكثر من توصية إنتشلها بها من براثن الجهل والتخلف والإحتقار والمهانة التي كانت ترزح تحتها في ظل الجاهلية .

فقد كانت المرأة نذير شؤم يجب التخلص منها ومن عارها ، بوأدها وكانت إرثاً يرثها الإبن عن أبيه فيتزوجها وقد صوّر لنا القرآن الكريم الصورة البشعة التي كانت تعيش في إطارها المرأة فيقول الله تعالى في كتابه العزيز :

(*) عقيدتنا في عصمة الإمام : نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً أو سهواً ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه ، حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة ، بلا فرق .

المظفر : عقائد الإمامية ٩١ .

﴿ وإذا بُشّرَ أحدُهم بالأنثى ظلّ وجهُهُ مُسْودا وهو كظيمٌ * يتوارى من القوم من سُوءِ ما بُشّرَ به أيُمسكُهُ على هونٍ أم يدُسُّهُ في التُرابِ ألا ساءَ ما يحكمون ﴾ (النحل ٥٨ـ ٥٩) .

﴿ وإذا المؤودةُ سُئِلَتْ بأيّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير ٨ ـ ٩) .

﴿ ولا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النّساءِ إلّا ما قد سَلَفَ إنّه كانَ فاحِشَةً ومَقْتاً وسَاءَ سَبيلاً ﴾ (النساء/٢٢) .

فأتى الإسلام ليحرر المرأة من هذه العبودية وهذا الظلم ويبني المجتمع الإنساني الجديد على أسس العقيدة الجديدة الداعية إلى توحيد الله واحترام حقوق الإنسان ورفض الظلم والقهر والتعبد لغير الله .

وبموجب الدين الإسلامي الحنيف أصبحت المرأة تتمتع بكافة الحقوق والإمتيازات التي كان يتمتع بها الرجل ، بوصفه إنساناً كاملاً . وهذه الحقوق هي : :

المساواة ، العدل ، حق العيش ، وحق اختيار المصير ، حق المشاركة في القرار السياسي ، حق اختيار الزوج بملء إرادتها والحقوق المدنية والحقوق التجارية كحقوق البيع والشراء ، وحق احتفاظ المرأة بمالها مع حقها بالمهر والهدية ، وحقها على الزوج بالإنفاق عليها واحترامها وتقديرها .

وباختصار : المرأة في الإسلام شخصية مستقلة تتمتع بكافة الحقوق الإنسانية ، وتلتزم بكافة الواجبات وعلى قدم المساواة مع الرجل إلّا فيما تعلق بالأحكام المبنية على التكوين الجسدي لكل منهما فهي المرأة وهو الرجل .

وأزاح الإسلام المرأة من كل أنواع الأنكحة الجاهلية ومنها :

الشغار[1] والبدل[2] ، والمخادنة[3] ، والمضامدة[4] ، والضيزن[5] ، وغيرها من الأنكحة فحرّمها كلها ، وساوى الإسلام المرأة مع الرجل في الثواب والعقاب كما ساواها في الحقوق والواجبات ، كل بما قدمت يداه وكسبت نفسه :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر/٣٨) .

---

(١) الشغار : هو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته ، ليس بينهما مهر ، فيقول أحدهما للآخر : زوّجني إبنتك أو أختك ، على أن أزوجك إبنتي أو أختي ، وتكون كل واحدة منهن مهراً للأخرى ، ويطلق على هذا الزواج الشغار لخلوه من المهر .

(٢) البدل : كان الرجل في الجاهلية يقول للرجل أنزل لي عن امرأتك أنزل لك عن امرأتي ، أو بادلني بامرأتك أبادلك بامرأتي ، ويسمى عندهم نكاح البدل .

(٣) المخادنة : المخادنة لغة المصاحبة ، وفي الجاهلية كانت تطلق على معاشرة رهط من الرجال لامرأة واحدة ، فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم فلا يستطيع أحد منهم أن يمتنع ، فإذا اجتمعوا لديها قالت لهم : قد عرفتم الذي من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، وتسمّي من أحبّت باسمه ، ويدعونها (المقسّمة) . وقيل أن هذا إنما يكون إذا كان المولود ذكراً ، أمّا إذا كان أنثى فلا تفعل ذلك ، لما عرف من كراهيتهم للبنات ، وخوفاً عليها من الوأد .

(٤) المضامدة : كانت في الجاهلية تطلق على معاشرة المرأة لغير زوجها ، وكانت تلجأ إليها نساء الجماعات الفقيرة زمن القحط ويضطرها الجوع إلى دفع نسائها في المواسم التي تعقد فيها الأسواق لمضامدة رجل غني ، تحبس المرأة نفسها عليه حتى إذا غنيت بالمال والطعام عادت إلى زوجها .

(٥) الضيزن : أو وراثة النكاح : كان الرجل إذا مات وترك زوجة وكان له أولاد من غيرها ، ورث نكاحها أكبر أولاده ، في جملة ما يرث من مال أبيه ، فإذا أعرض عنها إنتقل الحقّ إلى الذي يليه ، فتصبح زوجة لمن تقع في نصيبه من غير مهر أو عقد . وإذا لم يكن للميت ولد يرث نكاحها . إنتقل الحق إلى أقرب أقرباء الميّت . وكان من حق الولد الذي آلت إليه زوجة أبيه أن يمنعها من الزواج ، إلاّ إذا أرضته بمال ، وقد أطلق على هذا الوارث إسم (الضيزن) .

بتصرف عن « الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام » عبد السلام الترمانيني ، سلسلة عالم المعرفة ٨٠/ذو القعدة ١٤٠٤هـ / أغسطس ١٩٨٤م .

﴿ إني لا أُضيّعُ عَمَلَ عاملٍ مِنْكُم مِنْ ذَكرٍ أوْ أُنْثى ﴾ (آل عمران / ١٩٥) .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً مِنْ ذَكرٍ أوْ أُنْثى وَهُوَ مؤْمِنٌ فَلَنُحيِينَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُم أجْرهُمْ بِأحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل /٩٧) .

﴿ مَن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن . فأولئك يدخلون الجنة ، يرزقون منها بغير حساب ﴾ (غافر/ ٤٠) .

هذا في الثواب أمّا في العقاب يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ الزَّانِيَةُ والزَاني فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مَائَةَ جَلْدةٍ ولا تأخُذْكُم بهمَا رأفَةٌ في دِينِ الله إنْ كُنْتُم تُؤمِنُون بالله واليَوْمِ الآخر وَلْيَشهَد عَذابَهُما طَائِفَةٌ من المُؤْمِنِين ﴾ (النور/ ٢) .

﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أيْدِيَهُما جَزاءً بمَا كَسَبا ﴾ (المائدة/٣٨) .

أما في العبادة فالإسلام كما يقول صاحب الميزان لا يفرق بين الرجال والنساء في التلبس بكرامة الدين بدليل الآية الكريمة[1] :

﴿ إنَّ المُسْلِمينَ والمُسْلِمَاتِ . والمُؤمِنِينَ والمُؤْمِنَات . والقَانِتِينَ والقَانِتَاتِ والصَّادقينَ والصَّادِقاتِ . والصابرينَ والصَّابِراتِ . والخَاشِعِين والخَاشِعَاتِ والمُتَصدِقينَ والمُتَصدقاتِ والصَّائِمينَ والصَّائماتِ والحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والحَافِظَاتِ والذَّاكِرينَ الله كثيراً والذَّاكراتِ أعدّ الله لهم مَغْفِرةً وأجراً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب /٣٥) .

وتشارك المرأة الرجل في تحمل المسؤولية الإسلامية في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في الآية الكريمة :

---

(١) الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن ٤ /٣١٦ .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (التوبة ٧١).

وإذا كان المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فإن المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ (التوبة ٦٧).

ونرى من جملة الآيات الكريمة التي تؤكد أن المرأة والرجل يتساويان في الصفات السيئة أو الزوجية وفي الأحكام المبنية على هذه الصفات.

﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ (النور ٢٦).

وقد ذكر القرآن الكريم نموذج المرأة الصالحة المؤمنة القانتة التي أحصنت في سبيل الله كل لذة بشر بصبر واحتساب . فجعلها الله مثلا للذين آمنوا من الرجال والنساء :

﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ (التحريم ١١).

﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين ﴾ (التحريم ١٢).

وضرب الله للذين كفروا من الرجال والنساء نموذج المرأة الخائنة الكافرة التي لم تتورع عن خيانة نفسها وخيانة زوجها بالرغم من مرتبته

كنبي من أنبياء الله سبحانه وتعالى . هذه المرتبة التي لم تشفع لها ولم تغنها عند الله فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ادخلي النار مع الداخلين ﴾ فدخلتها متحمّلة مسؤولية عملها السيء . وهذا ما يؤكد مسؤولية كل إنسان عن فعله ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى ﴾ (الأنعام/١٦٤) . ﴿ ضرب الله مثلاً للذينَ كَفَروا إمرأة نُوحٍ وامرأةِ لُوطٍ كانتا تحت عبدين من عبادنا صَالِحِينَ فَخَانتاهما فلم يُغنِيا عَنْهما مِنَ الله شيئاً وقيلَ ادْخلا النار مع الداخِلِينَ ﴾ (التحريم/١٠) .

وهكذا نرى من خلال المثلين الذين ضربهما الله في كتابه العزيز أن المرأة من خلال إنسانيتها وسلوكها تشكل القدوة الحسنة للمؤمنين كافة أو المثل السيء للكافرين كافة .

فالنظام الإسلامي رتّب الحقوق والواجبات لكل من المرأة والرجل على أساس التكوين النفسي والجسدي والفطري لكل منهما وعلى أساس العدل والمساواة وتعريف كل منهما على دوره في الحياة حتى لا يطغى أي واحد منهما على الآخر وحتى يعرف كل منهما حدود تكليفه الشرعي وبهذا قضى الإسلام على حالة التحاسد والتنابذ عند كلا الجنسين وحتى لا يحتل أحدهما ساحة الآخر :

﴿ ولا تَتَمنوا ما فضّل الله بَعْضهُم عَلَى بعْضٍ للرجال نَصيبٌ مِمّا اكتسبوا وللنساء نَصيبٌ مما اكتسبْنَ ﴾ (النساء/٣٢) .

هذه الحقيقة التي لم ترق لكثير من الرجال الذين دخلوا الإسلام ولم يتركوا بعد إرثهم الجاهلي (وحتى في زمننا الحاضر فإن الكثير من الرجال لا يزالون يتمسكون بأفكار واهية بعيدة كل البعد عن الإسلام) فهي يتعلق بنظرتهم للمرأة كمخلوق ضعيف ليس له القدرة على التعقل والتدبر والتفكير والعمل . فلقد أورد السيد الطباطبائي في الميزان (عن الدر المنثور أخرجها البيهقي) رواية مجملها :

« إن أسماء الأنصارية أتت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بين أصحابه فقالت : بأبي أنت وأمي ، إني وافدة النساء إليك ، واعلم نفسي لك الفداء ، أنّه ما من إمرأة كائنة في شرق ولا غرب ، سمعت بمخرجي هذا إلّا وهي على مثل رأي . . . .

إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بك ، وبإلهك الذي أرسلك ـ وإنّا معاشر النساء ـ محصورات مقسورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم .

وإنكم ـ معاشر الرجال ـ فضلتم علينا بالجمعة والجماعات ، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله . وإن الرجل منكم ، إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً ، حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربّينا لكم أموالكم (أولادكم) ، فما نشارككم من الأجر يا رسول الله ؟ .

فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه ، ثم قال :

هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها من أمر دينها من هذه ؟ فأجاب الصحابة : يا رسول الله ما ظنّنا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا !! فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليها ثم قال : انصرفي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أنّ حسن تبعّل إحداكنّ لزوجها ، وطلبها مرضاته ، وإتباعها موافقته يعدل ذلك كلّه .

فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً[(١)] » .

ومن خلال الرواية يتبيّن لنا أمران على درجة كبيرة من الأهمية :

الأمر الأول : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجب المرأة على مساءلتها قبل أن يأخذ رأي الصحابة في مرافعة المرأة القيّمة

(١) الطباطبائي : تفسير الميزان ٣٥٠/٤ ، ري شهري : ميزان الحكمة ٩٦/٩ ـ ٩٧ .

ومساءلتها في أمور دينها ، ويقصد بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

١ ـ إشراك الصحابة في الرأي ، وإشهادهم على جوابه للمرأة .
٢ ـ إشهاد الصحابة على بلاغة المرأة وعلى المستوى الذي يمكن أن تتوصل إليه بعقلها من التفكير والتعقل والتدبّر حتى تتساءل وغيرها من النساء عن أمور دينها .

هذه المساءلة تكشف عن الواقع الأليم الذي كانت تعيشه المرأة في اعتقادها بأنها دخيلة على المجتمع الإسلامي كما كانت دخيلة قبله مما دفع بأسماء الأنصارية داعية حقوق المرأة أن تتقدم بهذه المرافعة فجاء جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليزيح عن كاهلها همّاً اختزنته طويلاً في تفكيرها ، وليطمئنها على أمور دنياها وآخرتها ، وليوضح لها دورها الذي تبحث عنه في هذا المجتمع الإنساني الإسلامي الذي أكّد على مشاركتها التامة مع الرجل في بناء هذا المجتمع الجديد .

الأمر الثاني : فيما يتعلق بالصحابة أنفسهم :

إنّ في رد الصحابة على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ما ينمّ عن خلفية الرجل الذي تأبى عليه نفسه الحديثة العهد بالإسلام أن يصدّق أن المرأة تملك من العقل والتفكير ما يجعلها بهذا المستوى الرفيع من البلاغة أن تهتدى لهذه المقولة فجاء جوابهم إعجاباً واستهجاناً :

« يا رسول الله ما ظنّنا أن إمرأة تهتدي إلى مثل هذا ! »

وكأن المرأة في نظرهم عديمة التفكير ، مجردة من الإنسانية ، وهذه من مخلفات الجاهلية .

والأمر الأهم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : سمع مقالة المرأة (أسماء الأنصارية) ليبرهن للصحابة أن المرأة كما الرجل تتمتع

بحرية إبداء الرأي والمساءلة فالدين الإسلامي ضمن للمرأة كما ضمن للرجل : الحرية والعدالة والمساواة وأكّد على أن لا فرق بين المرأة والرجل إلاّ من خلال ما يقدم كل منهما لنفسه ولآخرته :

﴿ يا أيُّها الناسُ إنّا خَلَقْناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنّ أكْرَمَكُم عِنْدَ الله أتْقَاكُم ﴾ (الحجرات/١٣) .

﴿ يا أيُّها الناسُ إتّقوا رَبَكُم الذي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً ﴾ (النساء/١) .

ومن خلال الآيات الكريمة المتقدمة نرى أن الله سبحانه وتعالى خلق المرأة كما خلق الرجل ، وأن المرأة أصيلة ، كأصالة الرجل ، وهما أصل المجتمع ، خلقا من طينة واحدة ، ومن نفس واحدة دونما فرق بينهما في هذه الناحية ، وفي هذا ردّ على الشبهة التاريخية التي تتردد في الأذهان وفي ما نقرأه من كتب ، بأنّ المرأة ناقصة الخلقة وبأن حواء مخلوقة من ضلع آدم ، ومن ضلع سفلي لديه ، وبأنها ضلع أعوج ، فجاء الإسلام ليدحض هذه الشبهة وليؤكد أن المرأة والرجل قد خلقا من طينة واحدة ، وأنّ هؤلاء المخلوقين مرجعهم إلى فردين متماثلين ، متشابهين .

ثمّة شبهة أخرى يتمسك بها الرجال وهي : أنّ المرأة أصل الغواية ، وأنها عنصر الخطيئة فأتى الدين الحنيف ليبرىء المرأة من هذه المسؤولية المنفردة وأكد أن مسؤولية الغواية والخطيئة تقع على عاتق الإثنين معاً :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُما الشَّيطانُ ﴾ (الأعراف/٢٠) .

﴿ وقاسَمَهُما إنّي لَكُما لَمِن الناصِحين ﴾ (الأعراف/٢١) .

﴿ فَدَلاّهُما بِغُرورٍ ﴾ (الأعراف/٢٢) .

وقد صوّر القرآن الكريم حاجة كل من الرجل والمرأة لبعضهما

البعض وانشداد كل منهما للآخر جنسياً أروع تصوير ، إختصر فيه كل اللغط الذي يثار والكلام الذي يدور حول هذه الأمور المعقدة ويحصرها بالرجل دون المرأة ، لأنّ هذه الحاجات الحقيقية مودعة في فطرة الإنسان :

﴿ هُنّ لِبَاسٌ لَكُم وأنْتُم لباسٌ لهُنّ ﴾ (البقرة/١٨٧) .

ومن هنا تتبين المساواة في هذه الأمور فقد شرحت الآية الكريمة موضوع الإحتياج المشترك لكل من المرأة والرجل ، وهو الحاجة الجنسية ، في إطار من الودّ والمحبة والتفاهم :

﴿ وَمِن آيَاتِه أنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أنفُسِكُم أزواجاً لِتَسكِنُوا إلَيها وَجَعَل بَيْنَكُم مَوَدّةً وَرَحْمَةً إنّ في ذَلِك لآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكّرون ﴾ (الروم/٢١) .

وفي هذا أيضاً ما يؤكد بأن مقولة « المرأة متعة الرجل » وأن المرأة خلقت من أجل الرجل وهي لعبته ، « يمثل نصف الحقيقة ، والنصف الآخر لها هي أن الرجل متعة المرأة ، وهو سترها كما هي ستره ، والمرأة والرجل قد خلق كل منهما للآخر . وإن كان العرف الجاري أن يطلب الرجل المرأة (ونحن نترافق مع هذا الرأي لما فيه من إعزاز لكرامة المرأة كونها الطرف المطلوب والمرغوب والمحبوب)[١] ، إلاّ أنّ هذا لا يمثل الحقيقة الإسلامية ، والعكس لا يمثل الوقاحة وقلة الحياء ، حيث أنّه لا معنى بأن يعبّر الرجل عن شعوره وتحرم هذا الحق بحجة أنه ينافي الحياء ، ويخدش الإحساس بالكرامة ، فخديجة بنت خويلد (عليها السلام) كانت

---

(١) مطهري : نظام حقوق المرأة في الإسلام ، ٣٤ .
يقول الشهيد مطهري : «غريزة الرجل أن يطلب الطلب والحاجة وغريزة المرأة التمنع والدلال ، وطلب يد المرأة : هو من أكبر عوامل حفظ مكانة المرأة واحترامها ، فالطبيعة قد جعلت الرجل ممثلاً للطالب والمحب ، والمرأة ممثلة للمطلوب والمحبوب ، إنها جعلت المرأة وردة والرجل بلبلاً ، وأكبر من طاقتها وخلاف غريزتها أن تدعو رجلاً للزواج منها فيردّها ثم تذهب لخطبة آخر » .

البادئة في تشجيع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على طلب يدها ، ومع ذلك فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحبَّ خديجة (عليها السلام) وحمل لها كل التقدير والإحترام والإعزاز وظلت ذكراها في قلبه ، وكانت هذه الذكرى موضع غيرة أصغر نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي عائشة (رض)[1] .

وإن كنا في زمن نفتقد فيه مثال خديجة (عليها السلام) ، الزوجة المخلصة المحبة الوفية التي ساندت زوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحلك أيامه ، وصدقته وقت أن كذبه الناس ، وبذلت مالها ونفسها في سبيل الرسالة المحمدية ، نفتقد مثال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أكرم خديجة (عليها السلام) وأخلص لذكراها .

وإذا كنّا قد استطرنا في « مكانة المرأة في الإسلام » فذلك لأن الموضوع يتداخل في بحثنا « المرأة في نهج البلاغة » ، وحتى لا يختبىء الرجل في ظل إصبعه ويحرم المرأة حقوقها ويتمسك بالتقاليد والمواريث الجاهلية التي لا تمت لروح الدين الإسلامي وجوهره بصلة ، ولنزيح عن كاهل المرأة شبهات يتمسك بها الرجل لإبقاء المرأة على ضعفها وجهلها ، ولنزيل الغشاوة عن العيون ، فالدين الإسلامي لم يظلم المرأة بل أكرمها وأعاد لها اعتبارها ، وساواها أمام الرجل ، وأعطى لكل من المرأة والرجل دورهما في هذه الحياة بما يكفل حفظ الأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي ، وفي سبيل الحفاظ على هذه الأسرة وهب الله المرأة العاطفة فجعلها زوجة محبة تنسى الإساءة وتغفرها، وأمّاً رؤوفة حنونة تغدق من عطفها وحنانها على وليدها ، وامرأة غيورةإذا طغت عليها غيرتها انقلب حبها إلى طوفان

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ٤٨/٥ .
عن عائشة (رض) تقول : ما غرت على امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إياها ، وقد بشرها ببيت في الجنة » .

من الحقد والكره والغيرة المحرقة المدمرة ، لأن الغيرة غالباً إن لم يكن دائماً ، كانت السبب في تدمير وهلاك الأسرة ، ولم أجد في وصف الغيرة وشدة نارها أبلغ من وصف الإمام علي (عليه السلام) لهذه الحالة في « نهج البلاغة » حيث يقول :

« وأما فلانة فأدركها رأي النساء ، وضغن غلا في صدرها كمرجل القين »[1] .

(۱) محمد عبده : نهج البلاغة ٤٨/٢ ، الخطبة ١٥٦ .

المرأة في حياة الإمام علي (عليه السلام)

قبل أن نطرق باب « المرأة في نهج البلاغة » ، لا بد من عرض سريع لحياة الإمام علي (عليه السلام) مع المرأة في دربه الجهادي الطويل .

فالإمام علي (عليه السلام) أمير المؤمنين ، وعندما ينزل إلى ساحة الحرب كان يرتجز ويقول :

« أنا الذي سمتني أمي حيدرة »(١) .

وهذا الرجز كان يعبر عن مدى إعتزاز الإمام وإعجابه بهذا الإسم الذي سمته إياه أمه (فاطمة بنت أسد) وهي تعتبر أول امرأة في حياة الإمام علي (عليه السلام) . . ودائماً الأم هي المرأة الأولى والمربية الأولى في حياة الرجل .

وإذا استعرضنا النساء المثاليات اللاتي كنّ في حياة الإمام علي (عليه السلام) فلا بدّ من ذكر (فاطمة بنت أسد) أمه ، ثم (خديجة بنت خويلد) زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي تعهدت

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/ ١٢ .

الإمام علي (عليه السلام) بالتربية ، ثم فاطمة الزهراء (عليها السلام) ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيدة نساء العالمين[١] .

فاطمة بنت أسد : أم الإمام علي (عليه السلام) ، أسلمت وكانت الحادية عشرة من المسلمين[٢] وكان رسول الله يعظمها ويكرمها ويدعوها « أمي » وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة ، فقبل وصيتها ، وصلّى عليها ، ونزل في لحدها ، واضطجع معها فيه ، بعد أن ألبسها قميصه ، فقال له أصحابه : « إنا ما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها ، وإنّما ألبستها قميصي لتُكسىٰ من حلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر »[٣] .

وفاطمة بنت أسد من بني هاشم كانت أول إمرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من النساء[٤] .

ولدت الإمام علياً(عليه السلام) في الكعبة [ولم يولد قبل الإمام علي (عليه السلام) ولا بعده أحد في الكعبة] ومما قالته عندما أخذها الطلق :

«ربِّ إني مؤمنة بك ، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة لكلام جدي إبراهيم الخليل ، وأنه بنى البيت العتيق ، فبحق الذي بنى البيت ، وبحق المولود الذي في بطني لما يسّرت ولادتي ،

---

(١) مسلم : صحيح مسلم ، ٣٧٨/٢ ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة قالت (عليها السلام) : فضحكت ضحكي الذي رأيت » .

(٢) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ٤/١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) (الخوئي) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢١٧/١ .

فاستجاب لها ربّها ، ويسر لها ولادتها»[١] .

وطبيعي أن مثل هذه المرأة الطيبة الخيّرة ، التي تعهدت بالتربية والعناية أعظم رجل في تاريخ البشرية ـ وهو رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ـ هذه المرأة المسلمة المؤمنة كان لها الأثر الطيّب عند وليدها الذي كان يفتخر بتسميتها له « حيدرة » كما كان يفتخر بتربيتها له .

خديجة بنت خويلد (عليها السلام) : هي الأنموذج الثاني للمرأة المثالية في حياة الإمام علي (عليه السلام) ، والذي صادفه في بيت النبوة ، فقد كانت خديجة (عليها السلام) زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحاضنة الإمام علي (عليه السلام) ومربيته[*] ، وكان ثالثهما في بيت النبوة ، يرى نور الوحي والرسالة ، ويشم ريح النبوة »[٢] .

كانت خديجة (عليها السلام) زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، صدّيقة هذه الأمة ، وأول الناس إيماناً بالله وتصديقاً لرسوله ، افتدت الإسلام بحياتها ومالها وانفردت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأكثر من خمسة وعشرين سنة لم تشاركها به امرأة أخرى ولم يتزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة حياتها .

وعندما توفيت خديجة (عليها السلام) كان عام الحزن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان دائم الإستذكار لها حتى قالت عائشة (رض) :

«كان رسول الله لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، فيحسن

---

(١) المصدر نفسه .

(*) كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخذ علياً (عليه السلام) من بيت عمه أبي طالب طفلاً ، وذلك في عام المجاعة ليخفف عن كاهل عمه المسؤولية ، وليردّ له جزءاً من فضائله عليه .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة من خطبة القاصعة ٢/١٥٨ .

الثناء عليها فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة ، فقلت : هل كانت إلّا عجوز قد أبدلك الله خيراً منها ؟ » .

فغضب (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : « لا والله ما أبدلني خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني وكذبني الناس ، وواستني بمالها وحرمني الناس ، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء » قالت عائشة : « فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها سيئة أبداً »(١) .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يبشر خديجة (عليها السلام) ببيت بقصب الزمرد (٢) .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « خير نساء العالمين أربعة : مريم بنت عمران ، وآسيا بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) »(٣) .

فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : سيدة نساء العالمين وخامسة أهل الكساء(٤) من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، عند فاطمة الزهراء (عليه السلام) تحار عن أي جانب تتكلم :

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ٢٣٠/٤ وأيضاً ابن حنبل : مسند ابن حنبل ١٧/٦ .

(٢) صحيح البخاري : ١٥٨/٦ .

(٣) البخاري صحيح البخاري ٢٣/٤ .

(٤) الترمذي : سنن الترمذي ٦٦١/٥ ، وأيضاً مسلم : صحيح مسلم ، ٣٧٨/٢ ، قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما كان يجود بروحه الطاهرة : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ، قالت فاطمة (عليها السلام) : فضحكت ضحكي الذي رأيت باعتراف أم سلمة (رض) زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : أهل البيت ، أهل الكساء : فاطمة (عليها السلام) وأبوها وبعلها وبنوها و(الحسن والحسين) (عليهما السلام) وآية التطهير مختصة بهم فقط : مسلم صحيح مسلم ، ٣٦٨/٢ .

أعن الزهراء العابدة القانتة التي كانت كما قال عنها الحسن البصري : « ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة ، كانت تقوم حتى تورمت قدماها»[1]؟أم عن فاطمة الصديقة الطاهرة التي قال عنها : أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها»،«وفاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»[2]؟وأي مرتبة من القداسة وصلت إليها الزهراء (عليها السلام) . حتى يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها ، هذه الحوراء الإنسية الزاهدة ، المتواضعة ، وهي ابنة سيد المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ كانت الزوجة المحبة والأم المثالية للحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة[3] وعندما زوّجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً بعد أن أخذ رأيها وموافقتها قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أما ترضين يا فاطمة أني زوجتك أول المسلمين إسلاماً ، وأعلمهم علماً ، وأنك سيدة نساء أمتي ، كما سادت مريم نساء قومها »[4]؟ .

كانت الإبنة المحبة يجد فيها الأب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يجد الولد ويلمسه في أمه من الحنو والدفء والحنان حتى قال عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « فاطمة بضعة مني » ، و« فاطمة أم أبيها » وفي بيت الزوجية وقد اختار الله لها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ، تمّ زواج الزهراء ببساطة . فكان زفافها درساً في المبادىء الإسلامية العظيمة التي تخفف عن الزوج غلاء المهر ، وأثاث

---

(١) الأمين : أعيان الشيعة ٢/٥٥٠ .

(٢) الترمذي : صحيح الترمذي ، ٢/٣١٩ . مسلم : صحيح مسلم ، ٢/٣٧٧ باب فضائل فاطمة (عليها السلام) .

(٣) الترمذي : سنن الترمذي ٥/٦٥٦ .

(٤) الأميني : الغدير في الكتاب والسنة والأدب ٣/٩٥ .

البيوت الفاخرة ، والإعداد البيتي ، وفي هذه البساطة والقناعة حل لمعظم المشاكل الإجتماعية التي يضجّ منها العالم اليوم .

أما مع الزوج فكانت الزهراء ، تخفف عن زوجها آلامه ، وتضحك له والآلام تنهش صدرها وتتمالك نفسها من أن تتحسر أو تئن أمام زوجها : أما حين اغتصب حق الإمام علي (عليه السلام) بخلافة النبوة ، وأقصي عن مرتبته التي رتبها الله بها ، وحرمت الزهراء (عليها السلام) من إرثها بفدك بحجة أن الأنبياء لا يورثون ، خرجت الزهراء(عليها السلام) من بيتها ثائرة تعلن غضبها ، وسخطها على من غصبها حقها ، ومؤمنة بحق زوجها سالكة طريقه ، ومن كان مثل فاطمة (عليها السلام) لا يسكت على ظلم أو انتهاك لحقوق لأن « الساكت عن الحق شيطان أخرس » كما يقول زوجها الإمام علي (عليه السلام) . وكانت مرافعتها وخطبتها قمة الإعجاز .

خرجت الزهراء لتطالب بالحق والحق فقط ، وفي هذا تأكيد أن الدفاع عن الحق هو مسؤولية الرجل كما هو مسؤولية المرأة كل بحسب إمكانياته ، وماتت الزهراء (عليها السلام) وهي غاضبة ساخطة[1] . ماتت شهيدة الحق .

الزهراء (عليها السلام) الأم

كانت الزهراء(عليها السلام)خير أم كما كانت خير إبنة وخير زوجة، ربّت أطفالها على الحب والحنان والعطف وغذتهم برسالة النبوة وتعاليم

---

(١) طالبت الزهراء(عليها السلام) أبا بكر(رض) بإرثها في أرض فدك، فرفض أبو بكر بحجة أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » فهجرته فاطمة (عليها السلام) ولم تكلمه في ذلك حتى ماتت : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٣/٢٠٠ .
وأيضاً : ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤٦/٦ .

الإسلام ، فكانا سيدا شباب أهل الجنة ، باستشهادهم في سبيل الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية . .

الزهراء (عليها السلام) المعلمة الأولى

كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) معلمة للنساء المسلمات فقد كانت فقيهة ، عالمة ، فهمة ، محدثة ، تنقل ما سمعته عن أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوعي وأمانة . يقول السيد محسن الأمين (قده) .

« ما وصلنا عن أخبار فاطمة يصورها بصورة المعلمة الأولى للمسلمات اللواتي كنّ يقبلن على بيتها مستفهمات متعلمات فتفيض عليهن فاطمة بما وعته من علم وتثقفهن بثقافة العصر وتشجعهن على طلب العلم والمعرفة . وهكذا كان بيتها المدرسة الأولى في الإسلام للمرأة .

ورغماً عن فقدان التدوين في عصرها مما حرمنا من أكثر أخبارها فلم يصلنا منها إلّا القليل ، ورغم من قصر حياتها إذ أنها ماتت في عنفوان الشباب ، رغم عن كل ذلك فإنّ ما بين أيدينا من المصادر التاريخية يمكن أن يعطينا ملامح عن انصرافها لتثقيف الجماهير الإسلامية أفراد وجماعات ، مما ورد في خطبتها من دعوة مقاومة الظلم والاستبداد والحض على التمسك بما نسميه في عصرنا الحاضر بالدستور والقوانين .

وما أورده المؤرخون من أخبارها مما سنورده هنا من رحابة صدرها في تثقيفها للراغبين ، وإقبال النساء عليها طالبات العلم ، كل هذا يريك بعض حقائق فاطمة العالمة المعلمة .

ولم يقتصر تثقيفها على النساء ، بل كان الرجال يقصدونها كذلك مستفيدين . ومن أمثلة ذلك أن ابن مسعود جاءها يوماً فقال : يا ابنة رسول الله ، هل ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندك شيئاً تعلمينه ؟ .

فقال فاطمة : يا جارية ، هاتي تلك الأوراق ، فطلبتها فلم تجدها ، فقالت فاطمة : ويحك أطلبيها فإنّها تعدل عندي حسناً وحسيناً . . إلى آخر الخبر .

ومن ذلك أن إمرأة جاءت تسأل فاطمة مسائل علمية فأجابتها فاطمة عن سؤالها الأول ، وظلت المرأة تسألها حتى بلغت أسئلتها العشرة ، ثم خجلت من الكثرة . فقالت : لا أشق يا ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت فاطمة : هاتي وسلي عما بدا لك ، إني سمعت أبي يقول : إن علماء أمتنا يحشرون فيخلع عليهم من الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله »[1] .

الزهراء سيدة بيتها

بدأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) العمل في البيت من أول يوم ، ودأبت على ذلك مدة طويلة حتى أتعبها العمل ، قبل أن ترجو والدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يستأجر لها خادمة ، تساعدها في شؤون البيت ، فقد استقت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بالقربة ، وطحنت بالرحى ، وكنست البيت ونظفته حتى أنهكها العمل ، وتقاسمت هي والإمام علي (عليه السلام) الأعمال :

فكل ما هو خارج البيت كان من مهمات الإمام علي (عليه السلام) وكل ما هو داخل البيت كان من مسؤولية الزهراء (عليها السلام) التي وعت مسؤوليتها كإمرأة وزوجة وأم وربة بيت .

وعندما استأجر لها والدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاريتها فضة لم تتخلَّ الزهراء عن مسؤوليتها وتترك ذلك على الجارية ، بل جعلت الخدمة بينها وبين فضة مناصفة ، فيوم من سيدة نساء العالمين ،

---

(١) الأمين : المجالس السنية ٢/١٣٠ .

ويوم من جاريتها فضة ، إنها روعة الإنسانية ورأفة الإسلام وخلق المرأة الرسالية ، ولم تكن فضة جارية أو خادمة بالمعنى المتعارف عليه في عصرنا الحاضر ، بل كانت تلميذة للسيدة الزهراء (عليها السلام) وظلت فضة تتكلم بلغة القرآن فقط مدة عشرين سنة[1] .

---

(١) فضة تلميذة الزهراء (عليها السلام) : المتكلمة بالقرآن :

يروي أحدهم فيقول : انقطعت في البادية ، فوجدت إمرأة فقلت لها : من أنت ؟

فقالت : ﴿ وقل سلام فسوف تعلمون ﴾ فسلمت عليها فقلت لها : من أنت ؟

قالت : ﴿ ومن يهد الله فلا مضل له ﴾ .

فقلت : أمن الجن أنت أم من الإنس ؟ .

قالت : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم ﴾ .

فقلت : من أين أقبلت ؟

قالت : ﴿ تنادون من مكان بعيد ﴾ .

فقلت : أين تقصدين ؟ .

قالت : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ .

فقلت : متى انقطعت ؟ .

قالت : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض في ستة أيام ﴾ .

فقلت : أتشتهين طعاماً ؟ .

فقالت : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ﴾ .

فأطعمتها ، ثم قلت : هرولي وتعجلي .

فقالت : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ﴾ .

فقلت : أردِفك ؟ .

فقالت : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا ﴾ .

فنزلت فأركبتها فقالت : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا ﴾ .

فلما أدركنا القافلة قلت لها : ألك أحد فيها ؟

قالت : ﴿ يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ ﴿ وما محمد إلاّ رسول ﴾ ﴿ يا يحي خذ الكتاب ﴾ ﴿ يا موسى إنّي أنا الله ﴾ .

فصحت بهذه الأسماء ، فإذا بأربعة شباب متوجهين نحوها ، فقلت ، من هؤلاء منك ؟

قالت : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ .

فلما أتوها قالت : ﴿ يا أبت استأجره إنَّ خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ . =

وعندما تتعب الزهراء كانت تسبح التسبيح الذي أوصاها به أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ما يعرف بتسبيح الزهراء (عليها السلام) : الله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة ، ومثلها سبحان الله والحمد لله ، فكانت الزهراء (عليها السلام) العابدة القانتة في كل لحظة من لحظات حياتها .

ومن هنا فإن الزهراء (عليها السلام) لم تستغل مكانتها ووضعها الإجتماعي لأنها ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم تخل بالتوازن المفروض بين دور المرأة ودور الرجل ولم تنافس زوجها في دوره وفي موقعه ، بل احتفظت بدورها كإمرأة فقط ولم تجد في طاعة زوجها امتهاناً لها ولا حطاً من قدرها بل كانت طاعتها لزوجها بمحض إرادتها ومن عمق إلتزامها بمبادىء الشريعة الإسلامية التي تفرض عليها إيمانها بزوجها وطاعتها له وإخلاصها ووفاءها لخطه ومبادئه ما دامت هذه الخطوط والمبادىء نابعة من صلب الدين الإسلامي وتنصب في نيل رضا الله ، ومن هذا المنطلق كانت الزهراء (عليها السلام) الزوجة المحبة الوفية التي أخلصت وأطاعت ودافعت عن قضايا زوجها التي هي قضايا الأمة ، فكانت لزوجها سكناً وأنساً وسعادة ورفيقة جهاده ، وكانت تعضّ على الجراح ، وتختزن الآلام لتشيع في بيتها الحب والسكينة والسلام ، وبرهنت أنّ هذا هو دور المرأة مهما علا شأنها .

تلك هي طريقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) المرأة التي رافقت الإمام علي (عليه السلام) في حياته ومراحل جهاده ، وكان لها التأثير المباشر على نظرة الإمام علي (عليه السلام) للمرأة الطيبة الخيّرة المؤمنة

= فكافوني بأشياء ، فقالت : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ فزادوا لي فسألتهم عنها : فقالوا : هذه أمنا فضة جارية الزهراء (عليها السلام) ما تكلمت منذ عشرين سنة إلاّ بالقرآن!!! (ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣/٣٤٣، المطبعة العلمية ـ قم) .

التقية الزكية التي كانت الزهراء (عليها السلام) المثل الأعلى له حتى قال الإمام علي (عليه السلام) عنها : « فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه ، ولا أغضبتني ، ولا عصيت لي أمراً ، ولقد كنت أنظر إليها فيكشف عني الهموم والأحزان »[١] ولم يتزوج الإمام علي (عليه السلام) على فاطمة (عليها السلام) حتى ماتت .

ومما قاله الإمام علي (عليه السلام) في تأبينها (عليها السلام) عند دفنها :

السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك ، والسريعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورقّ عنها تجلدي ، إلاّ أن لي في التأسي بعظيم فرقتك ، وفادح مصيبتك موضع تعزّ ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

فلقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم .

وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها بالسؤال واستخبرها عن الحال ، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر .

والسلام عليكما سلام مودّع لا قالٍ ولا سئم ، فإن انصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين[٢] .

ويقول د . عبد العزيز حافظ دنيا .

« وبالرغم من حبه للمرأة ، كان يرى أن واحدة يعشقها القلب ،

---

(١) الأمين : أعيان الشيعة ٢/٥٥١ .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ٢/١٨٢ .

وتريح إلى وجودها النفس ، وتنعم بجوارها وبحديثها الروح تغني عن سائر النساء .

وقد كانت المرأة التي وجد فيها الإمام علي (رضي الله عنه) جميع هذه الخصال هي السيدة فاطمة رضوان الله عليها ، إذ لم يعرف له هوى لإمرأة خاصة من نسائه غير الهوى الذي اختصها به ، وهو غير الهوى الذي تبعثه المرأة بمغريات جنسها »[1] .

وهل في تاريخ البشرية إمرأة أعظم من الزهراء (عليها السلام) لتكون القدوة والأسوة ، فقد جمعت رجاحة العقل ، وثبات العزيمة ، وعمق التفكير وقوة الإيمان ، وجمعت الكمال والجمال ، والفصاحة والبلاغة والعظمة والفضيلة ، والشرف فكانت آية من آيات الله العظيمة ، إنها البتول الطاهرة التي لا يملك المرء إلاّ أن يطأطيء الرأس إنحناءة إجلال وتبجيل تجاه مقامها الشامخ ، كأعظم إمرأة ، وأعظم زوجة لأعظم رجل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا وهو الإمام علي (عليه السلام) ولنظهر الوجه المشرق للمرأة في حياة الإمام علي (عليه السلام) والعلاقة المبنية على الودّ والتفاهم والمحبة والرحمة بين الإمام والمرأة التي رافقت حياته فترة من الزمن . . وفارقها بدموع العين وهو الإنسان الصلب الذي لم يعرف الضعف أبداً ، ولنبرهن أنّ المرأة فيها كل الخير وليست فتنة وليست شراً وليست للمتعة فقط كما سنناقش من خلال النصوص التي تتناول المرأة في نهج البلاغة بل هي المودة والرحمة كما ذكر القرآن الكريم :

﴿ ومِن آياتِهِ أن خَلَقَ لكُم من أنْفُسِكُم أزْواجاً لتَسكُنُوا إليها وجَعَلَ بينكم مَودةً ورحمةً ﴾ (الروم/٢١) .

---

(١) دنيا : « علي والمرأة » علي بن أبي طالب : نظرة عصرية جديدة ٦٣ .

كلمات إلى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام)

السلام عليك يا زهراء في يوم مولدك المبارك .

السلام عليك أيتها البتول . . .

السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية . . .

إنحناءة إجلال بين يديك . . . سيدتي . . يا أم الحسنين . . .

وطأطأة للرأس تجاه مقامك الشامخ . . . يا بضعة النبي . . .

يا سيدة نساء العالمين . . يا زهراء . . يا أم أبيها . . .

روحي لك الفداء . . . ولأبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

بأبي أنت وأمي . . . يا زهراء ! . . .

بأبي وأمي ، أنت وأبوك وبعلك وبنوك . . .

السلام عليكم . .

يا من أذهب الله عنكم الرجس وطهركم تطهيراً أهل البيت .

السلام عليك أيتها الطاهرة . . . الزكية ، الراضية المرضية .

في يوم مولدك أيتها البتول .

أي قلم يرقى إليك ليكتب عنك ؟

وأي ريشة تدق وتلطف حتى تستطيع أن تصورك كما أنت ! . .

في يوم مولدك نقف خاشعين نتذكر سيرتك العطرة . .

أنت الأم الحنون التي ربت أولادها على تعاليم الرسالة الإسلامية .

وأنت الزوجة المطيعة . . . الوفية التي بذلت حياتها في سبيل زوجها وأولادها . . .

وأنت الإبنة الزكية الطاهرة التي خصها أبوها بالمحبة والحنان وقلد جيدها بقلادة أم أبيها .

فخصته بالمحبة والوفاء وبدموع الأسى واللوعة على فقده في بيت الأحزان حتى ضجّت لبكائها ملائكة الأرض والسماء .

السلام عليك يا معصومة . . .

ما كان أقصر عمرك ، وما أسرعك في اللحاق بأبيك (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكم فرحت عندما بشرك بأنك أول الناس لحوقاً به . .

السلام عليك يا بنت محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) . .

يا بنت أكرم من حملته النساء . . !

يا بنت خير من وطأ الحصى ! . .

يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنىٰ . .

السلام عليك يا بضعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . .

يا من يغضب الله عزّ وجلّ لغضبها ويرضى لرضاها . .

يا من قال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« فاطمة بضعة مني يؤذيني ما أذاها ويسرني ما أسرها . . »

السلام عليك يا إشراقة الروح ، ونور الإيمان ، وشعلة العقيدة . . .

السلام عليك يا من ولدك يكون مصلح البشرية المهدي (عجل الله تعالى فرجه) .

السلام عليك يا كاملة يا من جمعت رجاحة العقل وعمق التفكير ، وقوة الوعي والصلابة والثبات في الفكر والإيمان . .

وجمعت الجمال والكمال ، والفصاحة والبلاغة ، والعظمة والفضيلة ، والشرف فكنت آية من آيات عظمته وجلاله . .

تبارك الله أحسن الخالقين . . .

وحسبك أن يذكرك الله في كتابه الكريم مع أهل بيتك الأبرار في سورة الدهر . .

يا من أطعمتم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . .

وحسبك أن يمدحك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويسميك . .

سيدة نساء العالمين . .

سيدة نساء أهل الجنة . . .

فاطمة الزهراء . . . أم أبيها . . . البتول . . .

القلم يجف . . .

واللسان يكل . . .

والعين تنبهر . . .

والرؤوس تخضع إجلالاً . .

والكل يشير إلى سيدة نساء العالمين . .

إلى بضعة الرسول . . إلى الحوراء الإنسيـة . . إلى أم الحسنين ، إلى فاطمة الزهراء [٢] .

(١) رباب العلي : مجلة الزهراء ، رجب/١٤١٠ هـ ، شباط/١٩٩٠م العدد ٢ .

إنّ في تطرقنا لمكانة المرأة ودورها عند الإمام علي (عليه السلام) إنّما لنؤكّد الحقيقة الثابتة وهي أن الإمام(عليه السلام) كان يعيش أحلى حالات الحب والوفاء والإنسجام مع المرأة العظيمة التي أثبتت رجاحة العقل وقوة الشخصية ، فكانت المرأة البليغة إلى حد الإعجاز ، والثائرة العملاقة على المجتمع الإسلامي الذي انقلب بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحرمها إرثها وأقصى زوجها عن الولاية والوصاية ، فكانت المرأة الكاملة التي كونت شخصيتها من مبادىء أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإخلاص أمها خديجة الكبرى (عليها السلام) واندفاع زوجها علي (عليه السلام) وقوة عزيمته وصلابة رأيه ، فكانت الزوجة المطيعة وكانت بحق : الزكية الطاهرة ، التقية ، سيدة نساء العالمين تمثل قمّة الكمال البشري في جانبه الأنثوي ولك في كلام الإمام علي (عليه السلام) يوم دفن الزهراء (عليها السلام) :

« أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد »[1] ما يغني ويختصر عن كل ما يجيش في صدر الإمام علي (عليه السلام) من عاطفة صادقة ، مما يزرع

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ٢/١٨٢ الخطبة ١٩٥ .

الشك في نفوسنا بأن نظرة الإمام للمرأة نظرة سلبية وما يؤكد ذلك أن الشريف الرضي وكما ذكر في مقدمة كتاب نهج البلاغة قد نقل إلينا مختارات من حكم ومواعظ وخطب الإمام علي (عليه السلام) وقد أتى بها على بعض النصوص التي تخص المرأة .

هذه النصوص المعزولة عن مناسباتها الإجتماعية والنفسية ، نقلت إلينا صورة مبتورة للمرأة في نظر الإمام علي (عليه السلام) مما جعل البعض يتهم الإمام بأنه يتهجم على المرأة ، والبعض الآخر يتهمه بعداوة المرأة وكرهه لها ، والبعض الآخر يتسلح بهذه النصوص ليهاجم المرأة ويتهمها بأنها : « ناقصة العقل ، ناقصة الدين ، ناقصة الحظ »(١) ، « شر لا بد منه »(٢) ، « فتنة »(٣) ، « همّها الزينة والإفساد »(٤) . . إلى غير ذلك من الكلام الذي يقلل من شأن المرأة ويحقرها .

حتى الرجال الضعاف النفوس والإرادة يشبهوا بالمرأة ، فيقال لهم : « يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال »(٥) أو « كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة »(٦) .

هذه النصوص وغيرها لا بد من نفض الغبار عنها وإعادتها إلى أساسها الإجتماعي وجذورها التاريخية ومفهومها الحقيقي ، حتى نرى كما أسلفنا إذا كانت هذه الآراء عامة وتشمل جميع النساء ، أم تختص بنوع معين من النساء ، وهل هذا الكلام يتناقض مع مفهوم الشريعة الإسلامية . ومكانة المرأة في الإسلام ، أم يتوافق معها . ولأجل ذلك

---

(١) سرمدي : أبدي ، السهاد : السهر والأرق .
(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ١/١٢٩ ، الخطبة ٧٨ .
(٣) محمد عبده : نهج البلاغة ٣/١٨٩ الخطبة ٢٣٠ .
(٤) محمد عبده : نهج البلاغة ٢/٥٨ الخطبة ١٦٠ .
(٥) محمد عبده : نهج البلاغة الخطبة ١٥٣ .
(٦) محمد عبده : نهج البلاغة ١/٤٤ الخطبة ١٣ .

نستعرض النصوص الوارة عن « المرأة في نهج البلاغة » :

المرأة ونقصان العقل

نقل الشريف الرضي (ره) أن الإمام علي (عليه السلام) قال بعد حرب الجمل في ذم النساء :

« معاشر الناس : إن النساء نواقص الإيمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول ، فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن . وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الإنصاف من مواريث الرجال . وأما نقصان عقولهن فشهادة إمرأتين كشهادة الرجل الواحد . فاتّقوا شرار النساء . وكونوا من خيارهن على حذر ، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر »[1] .

هذه النصوص المقتطعة من خطبة للإمام علي (عليه السلام) بعد فراغه من حرب الجمل[2] يقول الخوئي في شرحها : « إعلم أن هذا الغرض من الكلام التعريض على عائشة[*] وتوبيخها وذم من تبعها وإرشاد الناس إلى ترك طاعة النساء ، والإتقاء منهن لكونهن ناقصات في أنفسهن، ولا ينبغي للكامل إطاعة الناقص والإئتمام به . ووجوه النقصان ثلاثة : كما نبّه عليها الإمام (عليه السلام) بقوله : (نواقص الإيمان ، نواقص

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١/١٢٩ الخطبة ٧٨ .

(٢) هذه الخطبة التي قالها الإمام علي (عليه السلام) بعد حرب الجمل أرجعها السيد عبد الزهراء الخطيب : إلى مصادر سبقت عصر الشريف الرضي ، وأثبتها عند أبي طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٢ هـ في قوت القلوب ١/٢٨٢ وذكر تعليقاً لبعض العلماء عليها : (عبد الزهراء الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢/٨٣) .

(*) عائشة (رض) : هي زوجة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . وإبنة الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) أعلنت الحرب على الإمام علي (عليه السلام) وجرت بينهما حرب الجمل التي سنتعرض لها ضمن سياق هذا البحث .

الحظوظ ، نواقص العقول) ولقد اتفق العلماء ممن قرأت شروحهم (كالخوئي ، والخطيب ، ومغنية ومن سبقهم من العلماء كالبحراني ، وابن أبي الحديد) أن هذا الحديث لا يختلف عن حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو مربي الإمام (عليه السلام) ومعلمه الذي كان يرفع له في كل يوم علماً ، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه مرّ على نسوة فوقف عليهن ثم قال :

يا معاشر النساء ما رأيت نواقص عقول ودين أذهب بعقول ذوي الألباب منكن أني رأيت أنكنّ أكثر أهل النار عذاباً فتقربّن إلى الله ما استطعتن ، فقالت امرأة منهن : يا رسول الله ما نقصان ديننا وعقولنا ؟ فقال : أما نقصان دينكن فالحيض الذي يصيبكن فتمكث إحداكن ما شاء الله لا تصلي ولا تصوم ، وأما نقصان عقولكن فشهادتكن إنما شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ، وأما نقصان حظوظهن فموارثيهن على الإنصاف من مواريث الرجال ﴿ **وللذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ (النساء/ ١١)(١) .

وهكذا نجد أن مضمون خطبة الإمام علي (عليه السلام) لا يختلف عن قول الشرع الحنيف ، ولا عن قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولا بد من ذكر بعض التعليقات حول النقصان الذي تتهم به المرأة لجهة دينها وعقلها وحظها قبل أن ننتقل إلى خيار النساء وشرارهن .

الشيخ محمد عبده نسجل له هذا الرأي وفيه يقول :

« خلق الله النساء وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معيّن لا يكاد ينتهي حتى تستعد لحمل وولادة وهكذا ، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية ، فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته ، وهو

---

(١) البخاري صحيح البخاري ١٤٩/٢ .

دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن إليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة ، فَكُنَّ في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة، ولا في الشهادة ولا الميراث »[1] .

أما البحراني فله رأي خاص (في نقصان المرأة لدينها وعقلها وحظها) حيث يقول :

« وله أيضاً سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لأهل العقل والتصرف ، وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في تدبير أمر المعاش ، ولذلك كانت أحكام القوى الحيوانية فيهن أغلب على أحكام عقولهن ، فكانت المرأة أرق وأبكى وأحسد وألج وأبغى وأجزع وأوقح وأكذب وأمكر وأقبل للمكر وأذكر لمحقرات الأمور ولكونها بهذه الصفة اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون عليها حاكم ومدبر تعيش بتدبيره وهو الرجل .

فقال تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ (النساء/٣٤) ، ولشدة قبولها للمكر وقلة طاعتها للعقل مع كونها مشتركة وداعية إلى نفسها اقتضت أيضاً أن يسنّ في حقها التستر والتخدر »[2] .

ونلمح في كلام الشيخ البحراني هجوماً عنيفاً على المرأة يتجاوز حدود التفسير الشرعي لمعنى النقصان في العقل والدين والحظ ، رغم أن الشيخ البحراني أشار على أن مستوى التخلف الذي تقبع به المرأة هو بسبب عدم معاشرتها لأهل العقل والتصرف ، وهذا يعني أن تجهيل المرأة جريمة متعمدة ، ولا تُزال النتيجة (التخلف) إلاّ بإزالة السبب . وفي هذا تحميل المسؤولية للرجال واتهامهم بالتقصير تجاه المرأة ، بعزلها عن الثقافة والعلم .

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١/١٢٩ ، هامش .

(٢) البحراني : شرح نهج البلاغة ٢/٢٢٣ .

في حين نرى الشيخ مغنية يقول : « قال قائل : أن الإمام نظر إلى المرأة من خلال رأيه بعائشة صاحبة الجمل ، حيث أنها عارضت حكمه وخلافته ، وألّبت عليه الجموع وجيشت الجيوش ، ولولا موقفها هذا لم ينظر الإمام علي (عليه السلام) إلى المرأة هذه النظرة التي تحط من شأنها وقدرها »[1] .

ويرد الشيخ مغنية على هذا القول : « إن موقف عائشة من الإمام علي (عليه السلام) ليس بأعظم من موقف طلحة والزبير اللذين بايعا ثم نكثا ، وحرضا عائشة على الخروج ، ولا أعظم من موقف معاوية وابن العاص ، ولا بأعظم من موقف الخوارج ، ولو صح تفسير رأي الإمام في المرأة بكراهية عائشة لوجب أن يكون رأيه في الرجل تماماً كرأيه في المرأة ، لأن طلحة والزبير ومعاوية وابن العاص ، ومن لفّ لفّهم فعلوا ما فعلت عائشة وزيادة »[2] وفسر الشيخ مغنية قول الإمام (عليه السلام) بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أسلفناه .

أما السيد محمد حسين فضل الله فإنه يرى أن المرأة يمكن أن تتفوق على الرجل (وقد رأينا نماذج قرآنية ، بلقيس ملكة سبأ ، آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون ، مريم ابنة عمران) هذه النماذج التي تفوقت بها المرأة على الرجل في سعة النظرة ودقة التفكير ، وعمق الوعي ووضوح الرؤية ، « وفي ضوء ذلك ، فإننا لا نستطيع اعتبار التعبير المروي عن الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة منطلقاً من عمق النظرة إلى المرأة في دائرة التأكيد على نقصان إنسانيتها في الحظ والعقل والإيمان . . بل قد يكون خاضعاً لبعض الظروف والأجواء الخاصة التي قد تفرض لوناً من ألوان التعبير الإيحائي ، أو للواقع الذي تعيشه المرأة بشكل عام من خلال تاريخ

(١) مغنية : في ظلال نهج البلاغة ١ / ٣٧٤ .
(٢) المصدر نفسه .

الجهل والتخلف المفروض عليها في طريقة تربيتها وتأهيلها للحياة الإجتماعية ، بالقياس إلى الرجل . . مما جعل حركتها في الواقع خاضعة لطبيعة الأسلوب والمنهج التربوي في نتائجه السلبية على انفتاح شخصيتها في قضايا الحياة ، بعيداً عما هو النقص الذاتي في الطبيعة الإنسانية »[1] .

ونتوافق مع الشيخ مغنية في الرأي من حيث أن الإمام علي (عليه السلام) وهو الإمام المعصوم لا يمكن أن يتحامل على المرأة لأغراض شخصية ويثأر من المخلوق الضعيف (المرأة) ولا أن ينطق إلاّ بما تنطق به الشريعة الإسلامية .

ورأي الإمام بالمرأة من حيث نقصان العقل أو نقصان الشهادة ، ليس حَطّاً بالمرأة ، إذ أنّ الرجل الواحد أيضاً لا تكفي شهادته بل يلزمه رجل عدل آخر معه لتذكيره ولتأكيد شهادته فهل هذا حطّاً من قيمة الرجل ؟! هذا من جهة ومن جهة أخرى فالمرأة قد تفوق الرجل عقلاً ، وإيماناً أيضاً . وأن التزامها بأحكام الشرع الحنيف الذي خفف عنها وانسجاماً مع الحالة الجسدية المضادة للطهارة ، هو بحد ذاته إيمان وعبادة خاصة إذا لم تخلو هذه الفترة من التسبيحات والأدعية . هذه الحالة العبادية التي يلجأ إليها الرجل المسافر أيضاً في حال السفر للتخفيف عنه ، ولأن العبادة والتوجه لله ولروحانية العبادة تتطلب نوعاً من الإستقرار، وهذا ما أكّد عليه العلامة السيد محمد حسين فضل الله، وهو دفاع يتلاءم مع أفكارنا، من أن المسألة لا تمثل حرماناً في العمق ، بقدر ما يمثل لوناً من ألوان التخطيط لحركة الإنسان في العبادة ، وما تقتضيه طبيعة حركة توزيع الثروة تبعاً للمسؤوليات التي يتحملها الورثة في الوضع الإقتصادي ، حيث أن نقصان حظ المرأة في الإرث يتعدل في حقها بالمهر والإنفاق عليها .

---

(١) السيد محمد حسين فضل الله : شخصية المرأة القرآنية ، مجلة المنطلق (بيروت) ع/٦٠ ، ربيع الثاني ١٤١٠هـ/تشرين الثاني ١٩٨٩م .

« فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر »[1] .

إن الطاعة المجردة عن حب الله والتقرب إليه تفقد قيمتها المعنوية ، والطاعة سواء أكانت للمرأة أو للرجل يجب أن لا تخرج عن دائرة حب الله وإطاعته ، والإستجابة للمرأة في المعروف إنما هو استجابة للأمر الإلهي الذي يؤكد :

﴿ والمؤمِنُونَ والمُؤْمِنَاتِ بعضُهُم أولياءُ بَعْضٍ يَأمُرُونَ بالمعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَر ويُقِيْمونَ الصَلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَه ﴾ (التوبة/٧١) .

﴿ المُنافِقُون والمُنافِقَاتِ بَعْضُهُم مِنْ بَعض يَأمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبَضُونَ أيْدِيهِم نَسُوا الله فَنَسِيَهُم إنَّ المُنافِقِينَ هُمْ الفَاسِقُون ﴾ (التوبة/٦٧) .

والإتقاء من شرار النساء واجب الإنسان المتعقل ، وليس فقط من المرأة الشريرة بل من الناس الأشرار سواء أكانوا نساء أم رجالاً حتى لا يقع فيمن يأمرونه بالمنكر وينهونه عن المعروف ، ومن واجب الرجل المؤمن أن يحسن اختيار المرأة الصالحة والخيّرة كما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« ألا أخبركم بشر نسائكم ، قالوا بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبرنا قال : شر نسائكم الذليلة في أهلها العزيزة مع بعلها ، العقيم الحقود ، التي لا تتورع عن قبيح ، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها ، الحصان معه إذا حضر التي لا تسمع قوله ولا تطيعه في أمره فإذا خلا بها تمنعت تمنع الصعبة عند ركوبها ، ولا تقبل له عذراً ، ولا تغفر له

(١) محمد عبده: نهج البلاغة ١/١٢٩ الخطبة ٢٧ .

أما عن خير النساء كما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « خير نسائكم الولود الودود ، الستيرة العفيفة . العزيزة في أهلها ، الذليلة مع بعلها ، المتبرجة مع زوجها الحصان مع غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره ، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ، ولم تبذل له تبذل الرجل »[٢] .

فإذا عرفنا صفات المرأة الشريرة، والمرأة الخيِّرة، عرفنا أنَّ مسؤولية الرجل تنحصر في مسألة اختيار المرأة الصالحة ، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستأمره في النكاح ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نعم أنكح وعليك بذوات الدين »[٣] .

وحين يقول الإمام علي (عليه السلام) « كونوا من خيارهن على حذر » فهذا يعني كما يقول البحراني أنه لا بد من مقاربتهن . والإنسان إنما يختار مقاربة المرأة الخيِّرة منهن فينبغي أن يكون معها على تحرز وتثبت في سياستها وسياسة نفسه معها . إذا لم تكن الخيِّرة منهن خيِّرة إلاّ بالقياس إلى الشريرة .

وخلاصة القول أن الإمام حين يقول كونوا من خيارهن على حذر ، فهذا يعني أن يتوجه الإنسان المسلم إلى اختيار المرأة الصالحة وأن يطيعها فيما يرضي الله لأنه طاعة لله وليس طاعة لها ، فإذا كان الحذر من المرأة الخيِّرة المؤمنة ضرورياً فكيف يكون من المرأة الشريرة .

وإذا قارنا بين قول الإمام (عليه السلام) وقول رسول الله

---

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ١٨/١٤ باب مقدمات النكاح .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الطوسي : تهذيب الأحكام ، ٤٠١/٧ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) نرى أن قول الإمام لا يتناقض مع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا قول الشريعة الإسلامية .

﴿ وَلاَ تَنْكحُوا المُشْركَاتِ حَتّى يُؤْمِنّ وَلأمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خيرٌ مِنْ مُشْركَةٍ وَلَوْ أعجَبَتْكُم وَلاَ تَنْكَحُوا المُشْركِينَ حَتّى يُؤمِنُوا وَلَعَبْدٌ مؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَو أعْجَبَكُمْ أولَئِكَ يَدْعُونَ إلى النارِ والله يَدْعُوا إلى الجنة والمغفرة بإذنِهِ وَيُبَيِّنَ آيَاتِهِ للناسِ لَعَلّهُم يَتَذَكَرُونَ ﴾ (البقرة/٢٢١) .

ومن هنا أيضاً نرى أن مسؤولية الإختيار ليست فقط على الرجل إنما أيضاً على المرأة التي عليها أن تختار الإنسان الكفوء بإيمانه وأخلاقه وطيبة نفسه ، ونحن لا نفرق في العقل والعمل بين الرجل والمرأة كل في نطاق عمله ودوره وطاقته بما يكفل استقرار المجتمع الإسلامي ويحفظه من الإرتجاج والإهتزاز ، وكل حسب التوزيع العادل للمسؤوليات الملقاة على عاتقه ، لأن الحساب سيكون غداً على قدر العمل .

﴿ إني لا أضيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِنْ ذَكَرٍ أو أنْثى بَعْضَكُم مِنْ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران/١٩٥) ، وإن في قوله تعالى ﴿بعضكم من بعض﴾ توضيح أن الرجل من المرأة ، والمرأة من الرجل ، والرجل والمرأة معاً من نوع واحد من غير فرق في الأصل والنوع وأي اتهام للمرأة هو إتهام غير مباشر للرجل .

في ذم أهل البصرة(*)

«كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة[1]، رغا فأجبتم، وعقر[2] فهربتم. أخلاقكم دقاق[3] وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق وماؤكم زعاق[4]، والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك من رحمة ربه، كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة، قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرف من ضمنها» وفي رواية: «وأيم الله لتفرقن بلدتكم حتى

(*) البصرة: مدينة عراقية تقع جنوبي العراق على شط العرب، وهي المدينة الثانية بعد العاصمة، ومرفأ العراق الوحيد على الخليج ومركزاً بترولياً، ويصب فيها نهرا دجلة والفرات.

هذه الخطبة أثبتها السيد عبد الزهراء الخطيب في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده إلى مصادر تسبق الشريف الرضي منها الدينوري: الأخبار الطوال، ١٥٣.

المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣٧٧/٢، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٢٨/٤، ابن قتيبة: عيون الأخبار. ٢١٧/١.

(١) رغا: من الرغا: صوت الإبل خاصة.

(٢) العقر: الجرح.

(٣) دقاق: من الدقة والخسة: دناءتها.

(٤) زعاق: مالح.

كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ[1] طير أو نعامة جاثمة[2].

وإن كان بحثنا يختص بالحديث عن المرأة في نهج البلاغة، إلا أنه لا بد من معرفة مناسبة هذه الخطبة التي ألقاها الإمام علي (عليه السلام) فعندما فرغ من حرب الجمل، كما يقول الشيخ البحراني، أمر الإمام علي (ع) منادياً ينادي في أهل البصرة أن الصلاة الجامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله. ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلى في الناس الغداة في المسجد الجامع. فلما قضى صلاته، أسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. ثم قال: يا أهل المؤتفكة[3] ائتفكت بأهلها ثلاثاً. وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة وأتباع البهيمة[4].

والخطبة كما ترى هي ذم لأهل البصرة أتباع البهيمة. والبهيمة جمل عائشة (رض) عسكر (وهو اسم الجمل) وجند المرأة التي هي عائشة. وأنهم (أي أهل البصرة) أتباع الجمل: أخلاقهم دنيئة خسيسة. منافقون. لا يوفون بالعهود. ومنها عهدهم للإمام علي (عليه السلام).

وفي الخطبة لمح لنبوءات علي سيحل بالبصرة من كوارث. أثبتها ابن أبي الحديد في قوله: والصحيح أن المخبر قد وقع. فإن البصرة غرقت مرتين. مرة أيام القادر بالله. ومرة في أيام القائم بأمر الله. غرقت

---

(١) جؤجؤ: الصدر.

(٢) جاثمة: من جثم: وقع على صدره أو تلبد بالأرض.

(٣) المؤتفكة بأهلها: المستحقة الخسف لفساد أهلها واستحقاقها العذاب.

(٤) البحراني: شرح نهج البلاغة ١/ ٢٨٩ ومحمد عبده: نهج البلاغة ١/ ٤٤.

بأجمعها . ولم يبق منها إلّا مسجدها بارزاً كجؤجؤ الطائر »[١] .

وهـذا العلم (علم الغيب) : هو ممـا علّمـه رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) بما أفاضه بـه الله وأوصاه إلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أعلم رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بمـا سيحـل بـالبصرة من كوارث[٢] .

ولم ينس الإمـام عـلي (عليـه السـلام) أن يمـدح من أهـل البصرة المطيعين له كما ذم الناكثين بعهده والمارقين فيقول : « يا أهل البصرة إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف ولا كرم إلّا وقد جعل فيكم أفضـل ذلـك ، وزادكم عن فضله بمنّة مـا ليس لهم . . . نسـاؤكم أقنـع النساء ، وأحسنهم تبعلاً . . . »[٣] .

ومـا دمنا في حـديثنا عن « المـرأة في نهج البلاغـة » فلا بـد من إيجاز الـواقعة التي دعت الإمـام علي (عليـه السلام) للهجـوم الكلامي العنيف والـذم القاسي لأهـل البصرة ونعود إلى واقعـة الجمل بـالتحديـد ، وإلى أم المؤمنين عائشة (رض) حيث أنها المرأة المقصودة في هذه الخطبة ، ومـا جرى في هذه الحرب الفتنة من سفك لدماء المسلمين خاصة ممن تجند للدفـاع عن الجمل (البهيمة) الدفاع المستميت الذي أودى بحياة الكثيرين .

كان جمل عائشة رايـة عسكر البصرة ، قتلوا دونـه كما تقتـل الرجـال تحت راياتها[٤] حتى تمكن أحـد أصحاب الإمـام علي (عليـه السلام) منـه فعقره قائلاً لعائشة (رض) ومرتجزاً :

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٥٣/١ .
(٢) البحراني : شرح نهج البلاغة ٢٩٣/١ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٩٢/٢ .
(٤) إبن أبي الحديد : م . س ٢٩٢/١ .

يـا أمنـا يـا أعقّ أم نعلم ... والأم تغـدو ولدهـا وتـرحم
أمـا ترين كم شجـاع يكلم ... وتختـلى هـامتـه والمعصم[1]

ولا ننسى أن هـذه الحـرب هي من تحـريض طلحـة والـزبـير اللذين شجعا أم المؤمنين عائشة على الأخذ بـالثأر لعثـمان من قتلته متهمـين بذلـك الإمام علي (عليه السلام) علماً أن الإمام (عليه السلام) تبرأ من دم عثمان (رض)[2] . وقـد كـانت عـائشـة (رض) قـد كفّـرت عثمـان وأفتت بقتله قـائلة : اقتلوا نعثلاً فقـد كفر ، وكـانت عائشـة أول من سمّى عثمان بهذا الإسم مع أن الله يقول : ﴿ **ولا تنابَزُوا بالألْقَابِ بِئسَ الإسم الفُسُوقِ بَعدَ الإيمَانِ** ﴾ (الحجرات/١١) وقد قال لها أحدهم :

منـك البـداء ومنـك الغـير ... ومنـك الريـاح ومنك المطر
وأنت أمـرت بقتـل الإمـام ... وقلت لنـا أنـه قـد كفـر[3]

وقد قالت عائشة بعد مقتل عثمان (رض) :

« أبعده الله ذلك بما قدمت يداه ، وما الله بظلام للعبيد »[4] .

وقد أرسلت عائشة ـ وهي في البصرة ـ إلى زيد بن صـوحان العبـدي رسالة تقول له فيها :

« من عـائشة أم المؤمـنين بنت أبي بكر الصـديق ـ زوجـة رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى إبنها الخالص زيد بن صـوحان ، أمّـا بعد فأقم في بيتك وخـذل الناس عن ابن أبي طـالب ، وليبلغني عنك مـا أحبّ فإنّك أوثق أهلي عندي والسلام » .

فأجابها زيد :

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥/٢١١ .
(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥/١٦٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٥/١٧٢ .
(٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/٢٩٢ .

« من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر :

أما بعد فإن الله أمرك بأمر ، وأمرنا بأمر ، أمرك أن تقرّي في بيتك ، وأمرنا أن نجاهد ، وقد أتاني كتابك تأمرين أن أصنع خلاف ما أمرني الله ، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به ، وصنعت أنت ما أمرني ، فأمرك عندي غير مطاع ، وكتابك لا جواب له » .

وهكذا يتبين لنا أن عائشة كانت القائدة العامة للقوات في حرب الجمل لا بل اتخذت موقف أمير المؤمنين في الأمر والنهي[(١)] .

وذكر أبو مخنف في « كتاب الجمل » : أنّ الإمام علي (عليه السلام) خطب لما سار الزبير وطلحة في مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة فقال : « . . يا أيها الناس إن عائشة سارت إلى البصرة ، ومعها طلحة والزبير ، وكل منهما يرى الأمر دون صاحبه ، . . . أما طلحة فابن عمها ، وأما الزبير فختنها[(*)] ، والله لو ظفروا بما أرادوا ـ ولن ينالوا ذلك أبداً ـ ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد ، والله إنّ راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلاّ في معصية الله وسخطه ، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة أي والله ليقتلن ثلثهم ، وليهربن ثلثهم ، وليتوبن ثلثهم ، وإنّها التي تنبحها كلاب الحوأب »[(٢)] .

وقد حاولت عائشة (رض) أن تعود عن حربها عندما وصلت إلى ماء الحوأب ونبحت عليها الكلاب فسألت : أي ماء هذا ، فلما قيل لها ماء الحوأب ، صرخت عائشة بأعلى صوتها . ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت : « أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً ، ردوني . تقول ذلك ثلاثاً »[(٣)] .

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : د/٢٢٦ .

(*) ختنَها : صهرها ـ ختَنَ : صاهر .

(٢) المصدر نفسه : ١/٢٣٣ .

(٣) الطبري : م . س ٥/١٧١ و١٧٨ والمسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٢/٣٦٦ .

إلّا أن طلحة والزبير اجتهدا في إقناعها بأن هذا المكان ليس ماء الحوأب ، وأشهدوا على ذلك أكثر من خمسين رجلاً ، فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام [١] .

وكانت هذه الحرب التي أدارتها امرأة من أبشع الحروب وقد أودت بحياة أكثر من خمسة عشر ألف مسلم ، فكانت بحق « فتنة عمياء » ومن بقي من المشوهين كان « مخدوع المرأة التي أردات أن تكون أمير المؤمنين »[٢] .

والأبشع في هذه الحرب خروج أم المؤمنين عائشة (رض) من خدرها ، وقد قال الله في محكم كتابه العزيز لنساء النبي بل لكل النساء :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّة الأولى﴾ (الأحزاب/٣٣) وكما قال أحدهم لأم المؤمنين : « لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح ، أنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك »[٣] .

وصدق رسول الله حيث قال : « ما تركت بعدي في الناس فتنة أضرّ

---

(١) المصدر نفسه . ويروي المسعودي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال لنسائه : كأني بإحداكن وقد نبحتها كلاب الحوأب ، ثم قال لعائشة : « إياك أن تكونيها » ولم تكن شهادة التزوير في قضية ماء الحوأب الأولى في الإسلام فلقد سبقتها أكثر من شهادة . منها كما ذكرنا في الباب الأول من هذا البحث ، قضية الوصاية للإمام علي (عليه السلام) بخلافة النبوة ، وقضية إرث الزهراء في أرض فدك التي كانت فاطمة (عليها السلام) طالبت به بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدفعت عنها بحجة أن الأنبياء لا يورثون (ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ١٩٩/١) .

(٢) المسعودي : م . س ٣٨٠/٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ١٧٥/٥ .

على الرجال من النساء »[1] وفي حديث آخر : « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم إمرأة »[2] .

كيف تعامل الإمام علي (عليه السلام) مع المرأة الفتنة ؟

إنما نقول المرأة الفتنة في موضوع « المرأة في نهج البلاغة » فلأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان في بيت عائشة فقال : « الفتنة ها هنا (ثلاث) . . . من هنا يطلع قرن الشيطان »[3] .

إنتصر الإمام علي (عليه السلام) في حربه على الناكثين والمارقين ، ولكنه لم ينسَ أخلاق الإسلام وتربية القرآن وظفر بالمرأة فعفا عند المقدرة فخلال سير المعارك كان الإمام يوصي بالمرأة ويوصي رجاله بكيفية التعامل بشهامة في الحروب .

. . ويروى أنه عندما دخل علي(عليه السلام) البصرة، راح إلى عائشة على بغلته فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وجد نساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة وصفية ابنة الحارثة مختمرة تبكي فلما رأته قالت يا عليُّ يا قاتل الأحبة يا مفرق الجمع أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يرد عليها شيئاً . .

ولما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام ، فقال لها : أما لهممت وأشار إلى الأبواب من الدار أن افتح هذا الباب، وأقتل من فيه ثم هذا فأقتل من فيه ثم هذا فأقتل من فيه .وكان أناس من الجرحى قد لجئوا إلى عائشة فأخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم فسكتت فخرج علي فقال له رجل من الأزد والله لا تفلتنا هذه المرأة فغضب وقال له : صه[4] .

---

(١) الترمذي : سنن الترمذي ١٠٣/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٥٢٧/٥ .

(٣) مسلم صحيح مسلم : ٥٥٩/٢ باب الفتن .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢٢٢/٥ .

« ولا تهتكن لهم ستراً ، ولا تدخلن داراً ، ولا تهيجنّ إمرأة بأذىً وإن شتمن أعراضكم وسفّهن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وأنهن لمشركات وإن الرجل ليكافيء المرأة ويتناولها بالضرب فيضربها وعقبه من بعده فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكّل به شرار الناس »[1] .

لقد أبت نفس الإمام الشريفة وخلقه النبيل أن يثور بوجه المرأة أو يرد عليها أو يعنفها على سبابها أو يوجّه إليها أي لوم عملاً بالآية الكريمة : ﴿ إدفع بِالّتِي هيَ أحسن فَإذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوةٌ كَأنّه وَليٌ حَمِيم ﴾ (فصلت/٣٤) .

وعلى هامش الحروب التي تجري في القرن العشرين أين الأخلاق ، والسجون العربية ملأى بالنساء السجينات اللاتي يتعرضن لأبشع أنواع التعذيب « إن النساء ضعيفات القوى ، أي ضعيفات القدرة على مقاومة الرجال وحربهم ، وسلاح الضعيف والعاجز لسانه ، وبكونهن ضعيفات الأنفس: أي لا صبر لأنفسهن على البلاء فيجتهدن في دفعه بما أمكن من سب وغيره ، وضعيفات العقول : أي لا قوة لعقولهن أن يرين عدم الفائدة في السب والشتم وأنه من رذائل الأخلاق . . . . »[2] .

ووضع الإمام علي (عليه السلام) اللوم على من : « خرجوا يجرون حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما تجر الأمة عند شرائها ، متوجهين بها إلى البصرة فحبسا (وصانا) نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لهما ولغيرهما »[3] .

---

(١) الطبري : م . س . ٢٢٢/٥ ، والمسعودي : خروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٧١/٢ ومحمد عبده : نهج البلاغة ١٤/٣ ، الكتاب ١٤ .
(٢) البحراني : شرح نهج البلاغة ٢٨٤/٤ .
(٣) محمد عبده : نهج البلاغة ٨٥/٢ ، الخطبة ١٧٢ ، الطبري : مصدر سابق ٢٠٤/٥ .

وبعد الحرب منع الإمام علي (عليه السلام) سبي عائشة وسبّها وهذا الموقف المشرّف بحق المرأة يسجل للإمام علي (عليه السلام) كشهادة تثبت كيف أن الإمام أكرم المرأة وحفظها وردها معززة مكرمة ، رغم أنها جاءت لتحاربه وتقضي عليه . « فعندما ذكرها (يعني عائشة (رض) رجلان بسوء قال الإمام علي(عليه السلام) لأنهكنّها عقوبة فجلدهما مائة مائة وأخرجهما من ثيابهما »[1] .

ومنع عنها السبي « وإتفقت الرواة أن الإمام (عليه السلام) قسم ما غنمه من أهل البصرة على أصحابه ، فقالوا له : إقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً فقال : لا،فقالوا : كيف تحل لنا دماءهم وتحرم علينا سبيهم، فقالت : كيف سيحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام أمّا ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم ، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ، ولا نصيب لكم في شيء منه ، فلما أكثروا عليه قال : فاقرعوا على عائشة ، لأدفعها إلى من تصيبه القرعة فقالوا : نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا »[2] واشترى الإمام علي (عليه السلام) لعائشة جملاً غير جملها(عسكر) الذي أصبح كالقنفذ من السهام التي أصابته ، وجهّزه لها ، وبعث معها عشرين امرأة من نساء عبد قيس (بعض الروايات أربعين إمرأة) من ذوات الدين عممهن بالعمائم وقلدهن السيوف ، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به ، وتأففت وقالت : هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي . فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن . وقلن لها : إنما نحن نسوة[3] فسجدت وقالت : ما ازددت يا ابن أبي طالب إلاّ كرماً ووددت أني لم

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥/٢٢٣ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/٢٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ١/٢٣ والمسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/٣٧٦ .

أخرج وإن أصابني كيت وكيت من أمور ذكرتها شاقة »[1] .

وقبل خروج عائشة من البصرة دخل عليها الإمام علي (عليه السلام) وقال لها : « يا حميراء رسول الله أمرك بهذا ، ألم يأمرك أن تقري بيتك ، والله ما أنصفك الذين أخرجوك ، إذ صانوا حلائلهم وأبرزوك »[2] .

وأمر الإمام علي (عليه السلام) أخاها محمد بن أبي بكر أن ينزلها في دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار في البصرة ، وعند وداعها قالت عائشة (رض) للناس : « يا بني تعتّب بعضنا على بعض استبطاءاً واستزادة، فلا يعتدنّ أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك وأنّه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلاّ ما يكون بين المرأة وأحمائها وأنّه عندي على معتبتي من الأخيار » وقال علي (عليه السلام) : « يا أيها الناس صدقت وبرّت ما كان بيني وبينها إلاّ ذلك وأنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة »[3] .

« وندمت عائشة وأظهرت ندمها في أكثر من موقع ومما قالته : « لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة »[4] وفي موقع آخر : « بكت حتى ظن أنها لا تسكت »[5] .

ويقول عبد العزيز حافظ دنيا :

« ومن هذا يتبين لنا كيف أن سيدنا علي كرم الله وجهه ، من ذوي المروءة مع خصومة من استحقها منهم ومن لم يستحقها ، ومن كان في حرمة عائشة (رض) ومن لم تكن له قط حرمة ، وهي أندر وأعظم مروءة

---

(١)و(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/٣٧٦ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ٥/٢٢٥ .

(٤) المصدر نفسه ٥/٢٢١ وأيضاً : ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١/٢٦٤ .

(٥) المصدر نفسه ٥/٢١١ وأيضاً ابن أبي الحديد : م .س .

عرفت من منتصر في ميادين القتال والنضال . . . ولعل ـ هذه المروءة ـ من النبل والشهامة وصفاء القلب (رضي الله عنه) على خصومه وأشد أعدائه . . . له فيهم صحة . وحتى قاتله اللعين عبد الرحمن بن ملجم .

وهنا لا بد من الملاحظة على هامش رجوع السيدة عائشة مع النسوة أن الإمام علي (عليه السلام) لم يفقد الثقة بالمرأة كما يتوهم البعض . بل إنه أدخلها في المعسكر . وأعطاها السلاح وأرسلها لمهمة صعبة وهي حراسة قاطعة للأمين . وأشركها في قرار الحرب والسلم . وهذا مدعاة لافتخار المرأة .

وأن المرأة مهما علا شأنها . تبقى المرأة الضعيفة التي تحتاج إلى حماية الرجل وتوجيهه وإرشاده . وهذا ما وصلت إليه عائشة بعد هزيمتها وندمها . ولقد صب الإمام علي (عليه السلام) جام غضبه على الرجال . من أتباع البهيمة وجند المرأة الذين كانوا يجيبون البهيمة إذ رغت ويهربون إذ عقرت . واعتبر الرجل أصغر عقلاً من المرأة . فهو داء متبوع صغير العقل . ضعيف الشخصية . ضعيف النفس فكيف يكون حال التابع الذي هو الرجل ولذلك قال لهم في إحدى خطبه يذمهم :

يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال[2] ولم تفلح المرأة في حربها كما لم يفلح الرجال الذين ولوا أمرهم امرأة . كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لن يفلح قوم ولوا

---

(١) ذيب : علي والمرأة : نظرة عصرية جديدة ، ص ٦٠ .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ١/ ٦١ .

هذه الخطبة أرجعها السيد عبد الزهراء الخطيب في كتابه : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢/ ٤١ : الجاحظ : البيان والتبيين ١/ ١٧١ .

ابن قتيبة : عيون الأخبار ، مجلد ٢/ ٢٣٦ الدينوري : الأخبار الطوال ٢٠٠ .

ابن عبد ربه في العقد الفريد ؛ وغيرها من الكتب .

أمرهم امرأة »[١] ، وبقيت المرأة هي المرأة ضعيفة الجانب ، ضعيفة النفس تتنازعها الأهواء ، وبقي الإمام علي (عليه السلام) القائد المعصوم العظيم الحليم ، المتعال عن الآلام والنوازع ، ولم يعامل المرأة بمثل ما عاملته من إساءة وإعلان حرب ، بل عاملها بمنطق الإسلام وتعاليم القرآن وتربية الأنبياء . وبأسلوب الإنسان المؤمن القوي الذي ظفر فغفر حتى ندمت أم المؤمنين على خطئها ، وأحرق الجمل البهيمة ، ثم ذرّاه في الريح وقال (عليه السلام) : لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم قرأ :

﴿ وانْظُر إلى إلٰهِكَ الذي ظِلْتَ عَلَيه عَاكِفاً لَنُحرِّقَنَّهُ ثُمّ لَنَنْسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسْفاً ﴾ (طه/٩٧)[٢] .

وقد تبين لنا من قول الإمام (عليه السلام) لأهل البصرة : « كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة » . أن هذا القول هو ذم وتعريض للرجال ممن خذلوه وتحميلهم مسؤولية ما جرى ، باعتبارهم ساروا وراء المرأة ، وتعلقوا بالبهيمة ، وقتلوا دونها ، وهذه أبشع حالات التخلف عند الرجال ، وليس فقط عند « النساء أعظم الفتن »[٣] ، وقد قال الإمام (عليه السلام) :

« بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة ، وأكثر الخلق ثروة ، وبذلاً وأعظم الخلق في الخلق طاعة ، وأوفى الخلق كيداً وتكثراً ، بليت بالزبير ، لم يرد وجهه قط ، وبيعلى بن منية يحمل المال على االإبل الكثيرة ويعطي كل رجل ثلاثين ديناراً وفرساً أن يقاتلني ، وبعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلاّ واتبعها الناس ، وبطلحة لا يدرك غوره ولا يطال مكره »[٤] .

---

(١) الترمذي : صحيح الترمذي ، أو السنن الترمذي ٥٢٧/٤ كتاب الفتن .
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦٦/١ .
(٣) الآمدي : غرر الحكم ودرر الكلم ٨٣/١ .
(٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٢٧/٢٠ حكمة ١٩٩ .

ويقول الدكتور محمد الطيب النجار في بحثه :« بين علي وعائشة » . .

كيف بدأ الصراع بينهما ؟ وكيف انتهى ؟ وعلى من تقع التبعة ؟!

« والمتأمل في هذه الموقعة يرى أن التبعة فيها أول ما تقع على السيدة عائشة ، فلقد خرجت على ولي الأمر الشرعي ، ولم تسمع لنصح الناصحين حتى جرفها التيار وأفلت منها الزمام فتعرضت للذل والمهانة ، ولقد قال لها رجل يقال له جارية بن قدامة السعدي قبل أن تبدأ المعركة :

يا أم المؤمنين : والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح ، وأنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك ، وإنه من رأى قتالك يرى قتلك .

. . . . وتقع التبعة كذلك على طلحة والزبير . . . وعلى السفهاء الذين اشتركوا في جيش علي وعائشة . .

والنتيجة التي نطمئن إليها إذن أن المسؤولية في معظمها تقع على عائشة وأنصارها ، والقليل من المسؤولية هو الذي يتحمله علي رضي الله عنه » .

والإسلام بلا شك يفتح باب التوبة للمذنبين ، ويغفر للمجتهدين إذا كانوا يريدون الحق ويبتغون وجه الله . والكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه »[1] .

هذا ما قاله الدكتور النجار الذي رأى «أنه من الواجب ألاّ نغمض عيوننا أمام الأحداث وألاّ نضع أصابعنا في آذاننا فالواقع الذي سجله التاريخ لا يمكن أن يرتفع ولا ينبغي أن يزيف أو يحرف ، وإنما يجب أن نتلمس من خلاله العبرة والموعظة الحسنة ، فالعبرة هي ضالة المؤمن

---

(١) النجار : بين علي وعائشة ، علي بن أبي طالب : نظرة عصرية جديدة ص ٩٢ و٩٣ .

والهدف المرجو لكل عاقل ، والمنارة الساطعة التي تضيء طريق الخير وتهدي للتي هي أقوم »[١] .

ونحن إذ نقدر للدكتور نجار مسعاه في الوصول إلى الحقيقة ، ووضع اليد على الجرح للعلاج وأخذ العبرة دون تحرج الأمر الذي تهيب منه الكثيرون من المؤرخين المسلمين ، إلاّ أننا من واقع إيماننا بعصمة الأئمة (عليهم السلام) فإننا ننفي عن الإمام علي بن أبي طالب الوقوع في الخطأ أو الزلل ، لأنّه إمام معصوم ، ونضعه في المرتبة الثانية بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل الكفاءات وبالتالي ننفي عنه المسؤولية عمّا جرى في حرب الجمل ، لا بل إنّه كان في موقع الدفاع الشرعي عن النفس وعن الوحدة الإسلامية وفي محاولة لإعادة اللحمة بين المسلمين التي كان لحرب الجمل الأثر السيء في تفريقها وشرخها ، وهو الذي كان يقدر فداحة الخسائر التي ستلحق بالأمة الإسلامية ، إلاّ أن الحرب فُرِضَت عليه بعدما استُنْفِذَت كل وسائط الإصلاح وحقن الدماء ، لا بل إن ما جرى لعثمان بن حنيف الذي ضُرِب بالسياط وأرادوا قتله لولا أن السيدة عائشة أمرت بإخلاء سبيله بعد أن حلق القوم لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه فمسخوه مسخاً لا يقره الإسلام في غير مسلم[٢] .

وبعد المعركة كان الإمام علي (عليه السلام) يتعرف القتلى من أصحابه وخصومه ويتوجع لأولئك وهؤلاء ويترحم عليهم جميعاً ، وكان يقول :

« إن من قاتل فقتل وهو لا يريد بقتاله إلاّ الحقّ ، ولا يبغي إلاّ رضا الله فهو شهيدٌ »[٣] .

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٢٢٤ .

(٣) النجار : مصدر سابق .

مـا دمنا في الحـديث عن « المـرأة في نهج البـلاغـة » فـلا بـد من أن نتطرق إلى العاطفة عند المرأة بكل انفعـالاتها كـإحساس يـطغى على جميـع تصرفاتها . وفي مقابل العقل عند الرجل ،ولقد أغدق الله سبحانه وتعالى ، هـذه العاطفـة على المـرأة حتى تتمكن من إداء دورها الـوظيفي كـأم وابنـة وزوجـة وأخت وتتصدى لهـذه المهمة الصعبـة بما تـتطلبـه من حب وحنـان وصبر ، ولهذا نرى الرجل أحياناً ، ونتيجة لإعمال العقل أكـثر من القلب ، قاسي القلب ، بينما نرى المرأة تتدفق حباً ورقة وحناناً .

المرأة في الحب والبغض

المرأة نتيجة للعاطفة المتغلغلة في شرايينها نراها إذا أحبت أحبت حتى العبادة وإذا كرهت كان ذلك حتى الموت ، وهذا مـا يدخـل المرأة في دائـرة الكفـر ، فهي تتسامـح مع من تحب وتغفـر لـه ذنـوبـه ولـو كـانت كمـوج البحر ، وتتمنى الموت لمن تكره ، فهي في الأولى ملاكـاً رحيماً ، وفي الثـانية شيطاناً رجيماً ولهذا يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« المرأة تكتم الحب أربعين سنة ، ولا تكتم البغض ساعة واحدة »[1]

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البـلاغة ٢/٢٩١ الحكمـة ٣٢٩ من الحكم المنسوبـة للإمـام علي (عليه السـلام) .

وفي النوع الأول أي المرأة المحبة الوفية أوردنا مثال خديجة (عليها السلام) زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي أحبته وقدمت له وللرسالة شبابها وعمرها ومالها شاركته في محنته منفردة معه طيلة خمسة وعشرين عاماً ، لم تشاركها به امرأة أخرى ، ولو بقيت حية لما تزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها صدقته وقت أن كذبه الناس حتى أقربهم إليه ، وواسته بمالها وشجعته بكلماتها وقد بشرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببيت في الجنة .

ومثل خديجة (عليها السلام) ابنتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، سارت على دربها ، أحبت زوجهاعلياً (عليه السلام) فكانت خير زوجة لخير زوج كما كانت خير بنت لأبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وخير أم لأولادها سيدي شباب أهل الجنة . وخرجت الزهراء (عليها السلام) لتدافع عن حقها وحق زوجها وأولادها ، لأن سكوتها كان يعني الرضا بتحريف إرادة الله وتعطيل أحكامه والتهاون بها ، فخرجت لتعلن أن الدفاع عن حكم الإسلام واجب على المرأة كما هو واجب على الرجل . . . وظلت تطالب حتى رحلت صابرة محتسبة ، غاضبة حزينة شهيدة الحق . . .

وكانت الزهراء (عليها السلام) كما كانت أمها ، وآسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران بشهادة والدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « خير نساء العالمين »[1] .

والنوع الثاني من النساء الذي يكره لدرجة الموت ، وتسيطر عليه نوازع الحقد والإنتقام فلا يتورع من أجل ذلك سلوك كل السبل حتى ولو كانت مخالفة لأوامر الله ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(١) البخاري صحيح البخاري ٤/ ٢٣٠ .

هـذا النوع من النسـاء يمكن اتخاذ عـائشة(رض)مثـالاً لـه، فهي كـانت تكـره الإمام عـلي (عليه السـلام) كرهاً شديداً فما أن سمعت خـبر توليـه الخـلافـة حتى قـالت : « ليت السـماء أطبقت عـلى الأرض ، ردوني ، ردوني »[1] لشدة وقع الخبر عليها ، وانصرفت إلى مكة وهي تقول : « قتـل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بـدمه فقال لها ابن كلاب : ولِمَ فـوالله إن أول من أمـال حـرفـه لأنت ، ولقـد كنت تقـولـين اقتلوا نعثـلاً فقـد كفر »[2] ، ولقد قالت لما انتهى إليها قتل الإمام علي (عليه السلام) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قرّ عيناً بالإيـاب المسـافر[3]

نعم لقـد تناست أم المؤمنـين عائشـة (رض) في سبيـل التنفيس عن حقدها وبغضهـا للإمـام علي (عليـه السلام) فتـواها بتكفير عثـمان وهدر دمـه ، وتنـاست أنها زوجـة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، وتنـاست الأحـاديث الشريفـة التي كـان رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) يـرددها هنا وهناك في محبة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم فـاطمة الـزهـراء وزوجهـا وولداها الحسن والحسـين عليهم جميعـاً السـلام باعترافها[4] واعتراف أم سلمة (رض)[5] زوجة النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم)[*] التي حـاولت أن تذكـرها بهـا عند خـروجهـا من البصرة ، وأن

---

(١) الطبري تاريخ الأمم والملوك ٥/١٧٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ٦/٨٧ .

(٤) مسلم : صحيح مسلم ٢/٣٦٨ فضائل أهل البيت (عليهم السلام) .

(*) أم سلمة : كبرى نساء النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بعد خديجة (عليها السـلام) وهي : هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القـرشية المخـزومية ، كانت مستودعة لبعض وصايا النبوة ، وفي بيتها نزلت آية التطهير : ﴿ إنّما يُريدُ الله ليذهب عَنْكُم الرِّجسَ أهلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تطْهيراً ﴾ (الأحزاب/٣٣) الطبرسي : الإحتجاج ١/١٦٥ .

(٥) الترمذي : سنن الترمذي ٥/٣٢٨ فضائل أهل البيت (عليهم السلام) .

تذكرهن بقول الله سبحانه وتعالى لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ وقرْن في بُيوتكُنّ ولا تبرّجنّ تبرُّجَ الجاهلِيَة الأولى ﴾ (الأحزاب/٣٣) رغم أن عائشة تتميز بالذكاء وقوة الحافظة ، وقد حفظت أغلب أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومما قالته لها أم سلمة ، وقد رفضت عرض عائشة بالخروج معها إلى البصرة :

« إنّك جُنّة بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أمته ، وأن الحجاب دونك لمضروب على حرمته ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه ، وسكّن عقيراك فلا تصحريها لو أذكرتك قولةً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعرفينها لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة ، ما كنت قائلة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو لقيك ناصة قلوص قعودك من منهل إلى منهل ، تركت عهيداه ، وهتكت ستره إن عمود الدين لا يقوم بالنساء ، وصدعه لا يرأب بهن حماديات النساء خفض الأصوات وخفر الأعراض . اجعلي البيت قبرك حتى تلقينه وأنت على ذلك »[١] .

ويقول أبو مخنف : جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان ، فقالت لها : يا بنت أبي أمية ، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم لنا من بيتك ، وكان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك ، فقالت أم سلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة ، فقالت عائشة : إنّ عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان ، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام ، وقد عزمتُ على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة ، فاخرجي معنا ، لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا ، فقالت أم سلمة : إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان ، وتقولين فيه أخبثَ القول ، وما كان اسمُه عندك إلاّ نَعثلاً ، وإنّك

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٦/٢١٩ .

لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أفأذكّرك ؟ قالت : نعم ، قالت : أتذكرين يوم أقبل (عليه السلام) ونحن معه ؛ حتى إذا هبط من قُديد ذات الشمال ، خلا بعليّ يناجيه فأطال ، فأردت أن تهجمي عليهما ، فنهيتُك فعصيتني ، فهجمت عليهما ، فما لبثت أن رجعتِ باكية ، فقلت: ما شأنك؟فقالت: إنّي هجمتُ عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلي : ليس لي من رسول الله إلاّ يومٌ من تسعة أيام ، أفما تدَعني يا بن أبي طالب ويومي! فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)عليّ ، وهو غضبان محمّر الوجه ، فقال : ارجعي وراءك ، والله لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلاّ وهو خارج من الإيمان ، فرجعت نادمة ساقطة ! قالت عائشة : نعم أذكر ذلك .

قالت : وأذكرك أيضاً ، كنت أنا وأنتَ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنت تغسلين رأسَه ، وأنا أحيسُ له حيْساً ، وكان الحيس[1] يعجبه ، فرفع رأسه ، وقال : « يا ليت شعري ، أيتّكنّ صاحبة الجمل الأذنب ، تنبحها كلاب الحوأب ، فتكون ناكبةً عن الصراط ! » فرفعت يدي من الحيّس ، فقلت : أعوذ بالله وبرسوله من ذلك ، ثم ضربَ على ظهرك ، وقال : « إيّاك أن تكونيها » ثم قال : يا بنت أبي أمية ؛ إيّاك أن تكونيها يا حميراء ، أما أنا فقد أنذرتك » ، قالت عائشة : نعم أذكر هذا لله .

قالت : وأذكرك أيضاً أنتُ أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر له ، وكان عليّ يتعاهد نَعليْ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيخصِفها[2] ، ويتعاهد أثوابه فيغسلها ، فنَقِبت[3] له نعلٌ ،

---

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه .

(٢) خصف النعل : حرزها .

(٣) نقبت النعل : ثقبت .

فأخذها يومئذٍ يخصِفها ، وقعد في ظلّ سَمُرة ، وجاء أبوك ومعه عمر ، فاستأذنا عليه ، فقمنا إلى الحجاب ، ودخلا يحادثانه فيما أراد ، ثم قالا : يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا ، فلو أعلمتنا مَنْ يستخلِف علينا ، ليكون لنا بعدك مفزعاً ؟ فقال لهما : أما إني قد أرى مكانه ، ولو فعلت لتفرّقتم عنه . كما تفرّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكتا ثم خرجا ، فلما خرجنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قلت له ، وكنتِ أجرأ عليه مِنّا : مَنْ كنتَ يا رسول الله ، مستخلفاً عليهم ؟ فقال : خاصف النّعال ، فنظرنا فلم نر أحداً إلاّ علياً ، فقلت : يا رسول الله ، ما أرى إلاّ عليّاً ، فقال : هو ذاك ، فقالت عائشة : نعم أذكر ذلك ، فقالت : فأيّ خروج تخرجين بعد هذا ؟ فقالت : إنّما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله ، فقالت : أنت ورأيك ، فانصرفت عائشة عنها ، وكتبتْ أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى علي (عليه السلام)[١] .

ومع ذلك لم تستمع عائشة إلى صوت أم سلمة الوقور الذي حاولت أن تنهاها عن ما عزمت عليه فكان جوابها بأنها أرادت الخروج للإصلاح بين الناس قائلةً : « ما أعرفني بنصحك ، وأقبلني بوعظك ، وليس الأمر حيث تذهبي وما أنا بعمية عن رأيك ، فإن أقيم في غير حرج ، وأن أخرج ففي إصلاح بين فئتين من المسلمين »[٢] .

إن عائشة (رض) تعرف جميع الأحاديث الشريفة وتذكر إلاّ أن الحقد على علي (عليه السلام) لمحبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له ، ولزوجته فاطمة (عليها لسلام) التي هي إبنة ضرتها (وهي التي لم ترزق بأولاد) وكرهها لأولاد علي (عليه السلام) ولأسباب أخرى

---

(١) بن أبي حديد : شرح نهج البلاغة ٦/٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٢) لمصدر نفسه .

يضيق المجال عن ذكرها ، نرى عائشة (رض) تتخطى كل الحدود لتجيش الجيوش لمحاربة الإمام (عليه السلام) هذا العمل الذي لم تكن لتقوم به لو كان الخليفة رجل غير الإمام علي (عليه السلام) ولهذا يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« وأما فلانة فأدركها رأي النساء ، وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله »[1] .

هذه الخطبة التي تمثل رأي الإمام علي (عليه السلام) في المرأة من خلال عائشة ، لا يشكل رأياً خاصاً فقط بل يمكن تعميمه على كل النساء ، حيث أن المرأة إذا طغى عليها الإحساس بالكره لا تتورع أن تعمل عمل عائشة (رض) مهما كلفت نتيجة هذا الحقد (ولو أكثر من خمسة عشر ألف مسلم قتيل) كي تطفىء نار حقدها وغيرتها ، ولهذا يقول الإمام أما فلانة (عائشة) فقد أدركها رأي النساء من حيث ضعف النفس والحقد . . .

وعندما تمكن الإمام علي (عليه السلام) من الظفر بها قالت له عائشة (رض) بمنطق المرأة المهزومة الضعيفة : « يا ابن أبي طالب ملكت فاسجع نِعْمَ ما أبليت اليوم »(*) فسرحها علي (عليه السلام) معززة مكرّمة ولما جهّزها وهمّت بالرحيل ودّعت قومها قائلة :

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ٢/٤٨ الخطبة ١٥٦ هذه الخطبة أرجع مصادرها السيد الخطيب في كتابه : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢/٣٥ إلى :

١ ـ الطبرسي ، الإحتجاج ١/٦٩ ، المتقي الهندي : كنز العمال ٨؟٢٢٥ ، ومنتخب العمال ٦/٣١٥ .

(*) قال ابن عباس لعائشة : إن أمير المؤمنين أرسلني إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة فقالت : وأين أمير المؤمنين ذلك عمر فقال لها : عمر وعلي قالت : أبيت .

ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٦/٢٢٩ .

« . . . ما كان بيني وبين علي في القديم إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها »[١] .

هكذا وبكل بساطة لخصت عائشة (رض) دوافع حرب الجمل « الفتنة»وأسدلت الستار عن أكبر مجزرة أودت بحياة الكثير من المسلمين في الطور الأول للإسلام ، أسدت الستار لتقول للناس : أن ما بينها وبين علي (عليه السلام) وهو ما بين المرأة وأحمائها ، وكأن على الأمة الإسلامية أن تدفع ثمن أغراضها الشخصية وأحقادها الخاصة ، فالمرأة هي مخلوق غريب الأطوار فكما يقول الإمام علي (عليه السلام) .

« المرأة تكتم الحب أربعين سنة ولا تكتم البغضة ساعة واحدة »[٢] وهي كتلة من الأحاسيس والمشاعر المتقلبة ، « فالمرأة إذا أحبتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك ، فحبها أذىً ، وبغضها داء بلا دواء »[٣] ويبقى اللوم على الرجل العاقل الذي انجرف في تيار العاطفة فكان أداة في يد المرأة لتنفيذ إنتقامها ، وكان تابعاً لا متبوعاً .

المـــرأة والغيـــرة

قال الإمام علي (عليه السلام : « غيرة المرأة كفر ، وغيرة الرجل إيمان »[٤] .

وهل الحرب الفتنة إلّا نتيجة الغيرة والحقد والحسد . فمنطق الغيرة بين النساء منطق ثابت ولا يخلو مجتمع الرجال أيضاً من الحسد والغيرة وإن كان بنسبه أخف ، فالرجل يخفي غيرته ويتجاهلها في أكثر الأحيان بينما

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك د/٢٢٥ .
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٩١/٢٠ الحكمة ٣٢٩ من الحكم المنسوبة للإمام علي (عليه السلام) .
(٣) المصدر نفسه الحكمة ٣٢٨ .
(٤) محمد عبده : نهج البلاغة ١٦٥/٣ الحكمة ١٢٤ .

تشعل المرأة غيرتها حرباً شعواء ، لا تبق ولا تذر ، وإن كانت وسائل التعبير تختلف من امرأة إلى أخرى . فمنهن من تظهر غيرتها ومنهن من تكيد بصمت فتهدم البيوت على أصحابها ولذلك قال الله في كتابه العزيز : ﴿ **إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم** ﴾ (يوسف/٢٨) وتكاد تكون حروب الضرائر أشد خطراً وتدميراً ، والرجل هو دائماً سبب الغيرة بسوء تصرفه بين نسائه وإيثار الواحدة منهن على حساب الأخرى ، فالغيرة وحرب الضرائر وصلت حتى إلى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد تآمرت عائشة(رض) وحفصة(رض) على ضرتهما ماريّة القبطية (رض) ، وقد أدت الغيرة إلى تحريم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض نسائه على نفسه حتى نزلت الآية الكريمة :

﴿ **يا أيُّها النبي لِمَ تُحرِّمُ ما أحلّ الله لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةِ أزواجك والله غفورٌ رحيمٌ** ﴾ (التحريم/١) .

وهددت الآية التي تليها عائشة وحفصة[١] :

﴿ **إنْ تَتُوبَا إلى الله فَقد صَغَتْ قُلُوبُكما وإنْ تَظهرا عَلَيْهِ فإنَّ الله هُوَ مَوْلٰهُ وَجِبريلُ وصٰلح المُؤمِنينَ والمَلائِكَةُ عَسَى رَبُّه إن طَلَقَكُنَّ أن يُبدِلَهُ أزْواجاً خَيراً مِنْكُنّ** ﴾ (التحريم/٤و٥) .

وقد تمكن الإمام علي (عليه السلام) من إظهار براءة مادية بالدليل الحسي[٢] مما آثار نقمة عائشة وكانت سبباً من أسباب بغضها له .

والمرأة تغار من ضرتها حتى ولو كانت ميتة ، وهذا قالته عائشة (رض) : « ما غرت من إمرأة ما غرت على خديجة (عليها السلام) من كثرة ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إياها وفي حديث آخر

---

(١) السيوطي : تفسير وبيان مع أسباب النزول ٥٦٠ (طبع دار الرشيد ـ دمشق) .
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٩٥/٩ .

قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها »[1] فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا والله ما أبدلني خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء ، قالت عائشة فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها سيئة أبداً »[2] .

فالمرأة من أجل أن تستأثر بالرجل الذي تحبه وتريد امتلاك قلبه لا تنظر إلى الوسائل مهما كانت حتى ولو كان فيها معصية لله سبحانه وتعالى فهي لا تتورع عن استخدام النميمة والغيبة ، والتحقير ، والتحريض حتى القتل ولهذا كانت غيرتها كفر فعن الإمام الصادق (عليه السلام) وقد سئل : « المرأة تغار على الرجل تؤذيه » قال « ذلك من الحب »[3] .

ويقول الشيخ مغنية : « إن المرأة إذا صبرت وعاتبت بالحسنى بل وحنّت على الزوج دون أن تغضب الله في شيء ، فلا بأس عليها ولا إثم من غيرتها وحرقتها بل هي مأجورة ومشكورة عند الله والناس ، وإن قامت ولم تقعد وتعدت حدود الله سبحانه وتعالى فهي مجرمة آثمة . أمّا غيرة الرجل فهي من الإيمان لأنها تنهى عن المنكر أي التهتك والفجور شريطة أن لا تتعدى الغيرة حدّها المعقول »[4] . وفي هذا يقول الإمام علي (عليه السلام) : « إياك والتغاير في غير موضع الغيرة »[5] .

فغيرة الرجل التي يقصد منها حماية الأعراض والحفاظ على الشرف لا

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ٥/٤٨ ـ ٤٩ .
(٢) الترمذي : سنن الترمذي ٥/٣٦٦ ، البخاري : صحيح البخاري ٥/٤٨ .
(٣) الكليني : الفروع من الكافي : ٥/٥٦ .
(٤) محمد جواد مغنية : في ظلال نهج البلاغة ٤/٢٩٥ .
(٥) محمد عبده : نهج البلاغة ٣/٥٦ الكتاب : ٣١ .

الشك والإتهام ، هي من الإيمان ، بل هي من الصفات المحببة في الرجل المؤمن حتى لا يكون ديوثاً يستأهل نار جهنم ، ومن تموت الغيرة في قلبه فقد ماتت فيه الحمية والشهامة وكل صفات الرجولة ، وعندها سيكون وجوده وعدمه سيان .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وغيرة المرأة التي يراد منها النكد هي غيرة عمياء ، تؤذي بصاحبتها ، ومع أن الغيرة دليل الحب (ومن الحب ما قتل) ، إلاّ أنه لولا الغيرة لعبدت المرأة الله حقاً لأن « العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض »[1] والغيرة أيضاً مرض فتاك تفتك بالأسرة فتهدمها .

المرأة والزينة والإفساد

بعد أن رأينا ومن خلال « المرأة في نهج البلاغة » رأي الإمام علي (عليه السلام) في المرأة ونقصان العقل وطغيان العاطفة والإنجراف إلى الفتنة وأسباب ذلك ، نتجه إلى العنصر الأكثر أهمية عند المرأة . ألا وهو عنصر الزينة المؤدي إلى الإفساد في أكثر الأحيان ، باعتبار أن الزينة من مستلزمات الأنوثة عند المرأة ، ومصدر غواية للرجل ومتعة له وفتنة ، فسلاح الزينة هو أخطر الأسلحة التي يواجهها الرجل لأن المرأة لا تألو جهداً من أن تبرز هذا السلاح وتختار أشده فتكاً وغواية في قلب الرجل ولذلك يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« إن البهائم همّها بطونها ، وأن السباع همّها العدوان على غيرها ، وأن النساء همهنّ زينة الحياة الدنيا والفساد منها ، إن المؤمنين مستكينون إن المؤمنين مشفقون إن المؤمنين خائفون »[2] .

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٦٠ الحكمة ٤٦٠ .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ١٥٣/٢ ، الخطبة ١٥٣ هذا النص من خطبة أرجعها السيد

وفي موقع آخر يقول الإمام علي (عليه السلام) : « ولم تكن له زوجة تفتنه »[1] .

فالبهائم همها بطونها بالفطرة ، والسباع همها العدوان لطغيان القوة الغضبية عليها والمرأة همها الزينة لطغيان قوة الشهوة . « وليس هنالك وجه شبه بين (المرأة والحيوانات)التي ذكرت لأن هذا التشبيه مما لا يقبله أي إنسان مهما كان مستوى تفكيره ، وإنما أراد الإمام إعطاء المثل عن الشهوة والتسلط ، باعتبار أن الشهوة ، أو حبّ الزينة والإفساد موجودة في المرأة كما أن السباع لها القوة العدوانية والبهائم شهوتها في الطعام .

ولم ينكر القرآن الكريم هذه الشهوة في المرأة ، وإنما أقرّها ووضع لها شروطاً وضوابط وقوانين ، فحظر على المرأة أن تبدي زينتها لغير زوجها : ﴿ ولا يبدينَ زينتهنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ ﴿ ولاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِيْنَتِهُنَّ ﴾ (النور/٣١) ولذلك : « يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه والكفين من غير الزوج والمحارم »[2] .

وكان تأكيد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على إختيار حسان الوجوه :

« أطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، فإن فعالهن أحرى أن يكنّ حسناً »[3] وأن « لا تخرج المرأة من بيتها إلّا بإذنه ، وعليها أن تتطيّب

= عبد الزهراء الخطيب في مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، ٣٤٣/٢ إلى ما قبل شريف الرضي إلى ابن شعبة الحراني في تحف العقول ١٠٨ ، والكليني في الفروع من الكافي ٨٢/٥ .

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ٥٨/٢ من خطبة (١٦٠) وعظية .

(٢) الخوئي : منهاج الصالحين ، المعاملات ٢٥٤/٢ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ٣٧/٧ .

طيبها ، وتلبس أحسن ثيابها وتتزين بأحسن زينتها ، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية وأكثر من ذلك حقوقه عليها »[1] .

وعلى هذا فالزينة واجبة على المرأة في بيتها ولزوجها ، ومحرّمة خارج هذه الحدود حتى لا تكون أداة إفساد واستغلال في المجتمع ، إذ أن كثيراً ما تلجأ الدول المتحاربة لاستخدام المرأة كعنصر غواية في المجالات التجسسية ولإفساد المجتمعات تمهيداً لانهيار البلد وإنهائه ولذلك فإن « عار النساء باق يلحق الأبناء بعد الآباء »[2] .

هذا الأمر (أي الغواية والإفساد والعار) بعيد عن المؤمنين لأنهم مستكينون مشفقون ، خائفون فقد عصموا أنفسهم واجتنبوا الدخول في المجتمعات التي همّها الإفساد وقالوا ﴿ **ولأمةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَو أعجبتكُمْ** ﴾ (البقرة/٢٢١) وقد حذر الإمام علي (عليه السلام) في مسألة الزواج من النساء فقال : « لا تنكحوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن وانكحوهن على الدين ، ولأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل »[3] .

ولذلك فإن الإمام علي (عليه السلام) قصد ما قصده الشرع من حيث التحذير من أن تكون الزينة همّ المرأة في الحياة والإفساد في المجتمع غايتها ، بل يجب أن يكون هدف الزينة إمتاع الزوج وتحصينه من الفساد بإشباع غريزته ، وهذا ما لفت الإمام (عليه السلام) نظر رجاله إليه حيث نظروا شرهين إلى إمرأة جميلة فقال : « إن أبصار هذه الفحول طوامح ، وأن ذلك بسبب هبابها ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله فإنما هي امرأة كإمرأته »[4] .

---

(١) المصدر نفسه : ١١٢/٧ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٣٤١/٢٠ الحكمة ٩٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٥/٢٠ الحكمة ٩٤٨ .

(٤) محمد عبده : نهج البلاغة ٣٣٥/٣ الحكمة ٤٢٠ ، والصدوق : الخصال ١٧١/٢٠ .

أسلوب التعامل مع المرأة في
نهج الإمام علي (عليه السلام)

ما هو أسلوب التعامل مع « المرأة في نهج البلاغة » ، وما هي واجبات الرجل تجاه المرأة . وهل هذه الخطوط التي رسمها الإمام علي (عليه السلام) تتناقض مع مفاهيم الشرع الحنيف ، أو تتناقض مع طبيعة المرأة كأنثى متميزة بالرقة والعذوبة والحنان ، أم تتجانس معهما فمن وصية الإمام علي (عليه السلام) إلى ابنه الإمام الحسن نقرأ :

« إياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ، واكفف عليهن من أبصارهن ، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن ، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها ، وإياك والتغاير في غير موضع غيره ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب »[1] ونستشف من الوصية الأمور التالية :

---

(١) الأفن : ضعف الرأي ، الوهن : الضعف .
القهرمانة : التي تحكم في الأمور وتتصرف بها كما تشاء ، وهي كلمة فارسية .
التغاير : إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن من غير موجب . =

أن لا يشاور المرأة . أن يكفف عليهن أبصارهن بالحجاب ـ أن لا يدخل عليهن من لا يوثق به عليهن ـ أن لا يملك المرأة ما جاوز نفسها ـ أن يحافظ الرجل على المرأة لأنها ريحانة ـ أن لا يشفع بها غيرها ـ وأن لا يغاير في غير موضع الغيرة .

المرأة والمشورة

إن المرأة ضعيفة الرأي لطغيان عاطفتها على عقلها وقد رأينا كيف أن المرأة تولت أمر المسلمين فدفعت بهم إلى حرب لإطفاء نار غيرتها وحقدها ، فعن أبي بكر قال : «عصمني الله بشيء سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما هلك كسرى قال : من استخلفوا؟ قالوا ابنته، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة » قال « فلما قدمت عائشة تعني البصرة ذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعصمني الله به »[1] .

وفي حديث آخر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: « لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير فإن لم يجد من يستشير : فليستشير امرأته ثم يخالفها ، فإن في خلافها بركة » [2] .

هذا لا يعني أن المرأة لا تستحق المشاورة أو الإستشارة . فإن المرأة

= محمد عبده : نهج البلاغة ٥٦/٣ الكتاب ٣١ ، هذه الخطبة أرجعها السيد الخطيب في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢٩٧/٣ إلى مصادر سبقت عصر الشريف الرضي نذكر منها : محمد بن يعقوب الكليني في كتابه الرسائل ـ أبو أحمد بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب الزواجر والمواعظ ، أحمد بن عبد ربه المالكي في العقد الفريد باب مواعظ الآباء والأبناء . . الشيخ الصدوق في موضعين من « الفقيه » ٣٦٢/٣ و٢٧٥/٤ ، إبن شعبة الحراني في تحف العقول ، ٥٢ .

(١) الترمذي : سنن الترمذي ٤٢٧/٤ كتاب الفتن .

(٢) الطبرسي : مكارم الأخلاق ، ٢٣٨ .

في عصرنا الحاضر ، وصلت إلى درجة من العلم والثقافة مما جعلها موضع ثقة عند الرجل برأيها ولذلك فإن ضعف الرأي هو بسب التخلف والجهل الذي كانت تقبع فيه المرأة ، والرجل هو المسؤول المباشر عن تجهيل المرأة ، فإذا زال السبب زال المانع من استشارة المرأة .

المرأة والحجاب وعدم الإختلاط

فرض الله الحجاب على المرأة بأكثر من آية نذكر منها :

﴿ يا أيها النبي قُلْ لأزواجك وبَنَاتِكَ وَنِساءِ المؤمِنِينَ يُدْنِينَ عَليهُنّ من جَلاَبيبِهِنّ ذَلِك أدْنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤذِين ﴾ (الأحزاب/٥٩) .

﴿ وقُلْ للمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصَارِهِنّ وَيَحفَظْنَ فُرُوجَهُنّ وَلا يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنّ إلاّ ما ظَهَر مِنْهَا وَلِيَضْرُبْنَ بِخُمُورِهِنّ على جُيوبِهِنّ ﴾ (النور/٣١) .

ولا يتناقض رأي الإمام علي (عليه السلام) مع أحكام الشرع الحنيف فهو يقول :

واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن . فإن شدة الحجاب أبقى عليهن وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، فإن الخوف من رؤية المرأة للناس ، لا رؤية الناس لها ، فعن الزهراء (عليها السلام) : « خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل »[1] لأن الإختلاط أساس المعصية ، هذا لا يعني تحريم الخروج على المرأة ، إذ أن الظروف قد تلجىء المرأة إلى الظهور كما خرجت الزهراء (عليها السلام) للدفاع عن حقها وحق زوجها الإمام علي (عليه السلام) فضاهت ببلاغتها الرجال[2]،

(١) المصدر نفسه : ٢٢٣ .

(٢) فقد خرجت الزهراء (عليها السلام) عندما أجمع الخليفتان أبو بكر وعمر (رض) على=

= منع فاطمة (عليها السلام) إرثها بفدك ولاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمدة من نساء قومها تطأ ذيولها وخرجت إلى المسجد تخاطب الخليفة أبا بكر وتخطب في المهاجرين والأنصار فتقول للخليفة الأول :

. . . أيها المسلمون . . .

أأغلب على إرثي ؟!

يا ابن أبي قحافة ، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً .

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول ﴿ وورث سليمان داود ﴾ وقال فيما اختص من خبر يحي بن زكريا إذ قال : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ وقال : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ وقال ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الإنثيين ﴾ وقال : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ وزعمتم : أن لا حظوة لي ولا إرث في أبي ، ولا رحم بيننا ، أفختصكم بآية أخرج أبي منها ؟ أم تقولون : إنّ أهل ملتين لا يتوارثان ؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي .

فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر. ثم توجهت بالخطاب إلى الأنصار قائلة :

يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الإسلام ! ما هذه الغميزة في حقي ، والسنة عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبي يقول : « المرء يحفظ في ولده » ؟! سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة(*) ، ولكم طاقة بما أُحاول وقوة على ما أطلب وأزاول .

أتقولون : مات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فخطب جليل استوسع وهنه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت الشمس والقمر ، وانتثرت النجوم لمصيبته ، وأكدت الآمال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى ، أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنبأكم بها قبل وفاته فقال : ﴿ وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ . =

(*) عجلان ذا إهالة : مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته .

وكما خرجت إبنتهـا العقيلة زينب (عليها السـلام) في واقعة الـطف لنصرة أخيهـا الحسـين (عليـه السـلام) ولتحـافظ عـلى عيـالـه ، وتحمي الإمـام زين العابدين (عليه السلام)(*) من القتل ولتواجه ببلاغتها أكبر طاغية في عصره وهـو يزيـد بن معاويـة فكانت بشجـاعتها بطلة كربلاء[1] . ولم يكن

= إيهـاً بني قيلة ، أأهضم تراث أبي وأنتم بمـرأى مني ومسمع ، ومنتـدى ومجمـع ؟! تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدة ، والأداة والقوة . . .

الطبرسي ، الإحتجاج ج ١٠٣/١ .

(*) هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد كان عليلاً أسيراً .

(١) « ولقد نجحت معارضة الزهراء(عليها السلام) لأنها جهزت الحق بقوة قاهـرة وأضافت إلى طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طـاقة جـديدة ، وقـد سجلت هذا النجـاح في حركتها كلها وفي محاورتها مع الصديق والفاروق ،عند زيارتهما لها بصـورة خاصـة إذ قالت لهما : أرأيتكما إن حـدثتكما حـديثاً عن رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) تعـرفانـه وتفعلان به فقالا نعم ، فقالت : نشـدتكما الله ألم تسمعـا من رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخـطني قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت : فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخـطتماني ومـا أرضيتماني ولئن لقيت النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) لأشكـونكـما عنده» (ولقد ماتت الزهراء (عليها السلام) غاضبة ساخـطة) لقد استـطاعت الزهـراء (عليهـا السلام) أن تؤنب الخليفتـين وأن تثير الـرأي العام (المهـاجرين والأنصـار) وأن تلفت الأنظار إلى قضيتها المحقة والعادلة ، رغم أن ثورتها فشلت لذلك كانت وصيتها بأن لا يحضر تجهيزها ودفنها أحد من خصـومها ، إعلاناً أخيراً من الـزهراء (عليهـا السـلام) عن نقمتها على الخلافة القائمة ، حتى يقال بأن الخليفة الأول ندم وبكى وقال : « أقيلوني بيعتي » .

راجع : الصدر : فدك في التاريخ ٨٩ .

أما العقيلة زينب (عليها السلام) فإنها وقفت أمـام أكبر طـاغية في تـاريخ الإسـلام يزيـد تتكلم بفصاحة وبلاغة وظلت صرختها في وجه الظلم مدوية تعبر التـاريخ وتختـرق حجب السنـين قالت الحـوراء زينب (عليها السلام) ليزيـد مستصغرة قـدره ومهددة إيـاه وهي أسيرته :

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينـا أقطار الأرض وآفـاق السـماء فـأصبحنا نسـاق كما نسـاق =

الحجاب عائقاً لنساء الرسالة الإسلامية ولا لغيرهن ، بل إن الحجاب يضفي على المرأة المؤمنة هالة من الإحترام لإنسانيتها لا لأنوثتها . فالمرأة هي إنسانة في المجتمع وأنثى لزوجها ، وهي من خلال التزامها بحجابها وتجنب الإختلاط ، يمكن أن تتحرك ضمن الدائرة النسائية ، فتتولى مسألة إرشاد بنات جنسها وتعليمهن وتثقيفهن ، وأخذ هذه المهمة عن عاتق الرجل الذي استأثر بهذه المهمة طويلاً ، وبقيت المرأة نتيجة هذا الإحتكار تقبع سجينة التخلف والجهل ، رغم أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ولا نختلف مع الإمام علي (عليه السلام) كما لم يختلف هو (عليه السلام) مع الشريعة الإسلامية في أن إدخال من لا يوثق به على أي بيت يشكل ضرراً على المرأة والرجل والأسرة بكاملها لسهولة الإفساد بالإحتكاك المباشر ، ولذلك فتجنب الإختلاط ومعاشرة السفهاء ، هو الأسلم لصيانة الشرف والسمعة والأخلاق . وهذا ما قصدته الشريعة الإسلامية من حجاب المرأة وإبعادها عن جو الإختلاط ، دون منعها من الدخول في معترك الحياة الإجتماعية وممارسة دورها التغييري في المجتمع .

ولقد استطاعت السيدة بنت الهدى(*) ومن وراء الحجاب أن تقوم

= الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة ؟؟ إن ذلك لعظم خطرك عنده وعظيم منزلتك لديه فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك تضرب أصدريك فرحاً . . . وما ربُّك بظلام للعبيد ، فإلى الله المعول ، فكد كيدك ، واسع سعيك وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلّا فند وأيامك إلّا عدد ، وجمعك إلّا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين ، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب .

(*) بنت الهدى : آمنة حيدر الصدر . أخت الشهيد الإمام آية الله السيد محمد باقر الصدر (قده) ولدت في عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م . اختارت الحياة مع أخيها لتعيش معه في طفولتها وشبابها وكهولتها ثم ليستشهدا سوياً في ١٩٨٠/٤/٩م ويدفنا في النجف =

بدورها التغييري في المجتمع النسوي عن طريق كتابة المقالات والقصص الإسلامية التربوية الهادفة ، وإعداد نماذج معينة من الفتيات المؤمنات وإحاطتهن بعناية خاصة من خلال الدروس الخصوصية ليكنّ النخبة ، واستطاعت بأسلوبها أن تؤثر وتخلق كوادر نسائية فاعلة وعاملة ليس في العراق فحسب وإنما في لبنان والساحة الإسلامية عامة[1] .

المرأة ريحانة

« المرأة في نهج البلاغة » ريحانة عطرة ووردة فوّاحة ، خلقت للرقة والحب والحنان ، وهي أم بالفعل أو بالقوة . خلقها الله لممارسة هذا الدور أولاً وأخيراً لأنه هو الدور الحقيقي الذي تحقق فيه المرأة وجودها وأنوثتها ولقد خلقت المرأة وزُودت بطاقة الإنجاب ورعاية الأسرة والأولاد ، بالإضافة إلى ما أنعم الله عليها من العاطفة وقوة الصبر والتحمل . ولا يخفى على أحد ما لهذا الدور من أهمية في إنشاء المجتمعات الفاضلة المنتجة والمعطاءة .

وعلى هذا لا يمكن تحميل المرأة أكثر من طاقتها ، وإسناد الأعمال الشاقة أو الصعبة إليها ، هذه الأعمال التي تجردها من أنوثتها وتفقدها حيويتها ونضارتها ، وحتى احترامها . ولذلك فإن مجال الأسرة هو عالم المرأة التي تحتاج فيه إلى حب الرجل وعنايته ورعايته حتى تستطيع إداء دورها بعين ملؤها الحب والرضا ، ولعل إنتاج الأسرة الصالحة من أصعب المهمات .

= الأشرف : من كتاباتها : الخالة الضائعة ـ الفضيلة تنتصر ـ ذكريات على تلال مكة ـ المرأة مع النبي ـ كلمة ودعوة ـ الباحثة عن الحقيقة ـ بطولة المرأة المسلمة ـ ليتني كنت أعلم ـ مقالات أخرى نشرت في مجلة الأضواء النجفية .

(١) الكاظمي : « بنت الهدى ، هموم كبيرة وحركة دائبة » مجلة المؤمنة عدد ٧٠ ذي القعدة ـ ذي الحجة ١٤١١ هـ/أيار ـ حزيران ١٩٩١ م (بتصرف) .

لذا فالمرأة في بيتها منتجة وليست مستهلكة فقط، حيث أن دورها يعتبر من الأعمال الجسيمة ذات النتائج البعيدة المدى ، وبناء عليه فإن الإختلاف بين مهمتها ومهمة الرجل يعود إلى الإختلاف التكويني بين المرأة والرجل والإختلاف في الواجبات هو لمصلحة المرأة وحفظ إنسانيتها وأنوثتها ، فالمرأة لها حقوقها كاملة كامرأة دون أن تجبر على التحول إلى رجل والتخلي عن أنوثتها وتحمل مهام الرجل ولذلك يقول الإمام علي (عليه السلام) « ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها » وفي الحديث الشريف : « ما أفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة»[1] فالمرأة ليست بقهرمانة ولا تتولى إدارة شؤون غيرها فنعم للمساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات لكن لا للتشابه .

﴿ ولا تَتَمَنُّوا ما فَضَّل الله به بَعْضَكُم على بَعض للرجالِ نَصيبٌ مما اكتسبُوا وللنساءِ نَصِيبٌ مما اكتَسَبْنَ ﴾ (النساء/٣٢) .

فعندما خرجت المرأة من بيتها لتعانق الآلة خسر المجتمع نفسه وانحلّ وتفككت أوصاله ، ولذلك فإن عودتها لبيتها لتتصرف لشؤون الزوج والأطفال والأسرة عودة لأواصر العائلة بالمحبة والحب والحنان تغدقه المرأة على من حولها في بيتها ، وعودة إلى الثوابت من أن دور المرأة هو دور أنثوي فقط، ومسؤولية رعايتها هي من مهام الرجل الذي أعطاه الله حق القوامية على الأسرة ﴿ الرِجَالُ قَوّامُونَ على النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُم على بَعْضٍ وَبِما أَنْفَقُوا من أموالِهِم ﴾ (النساء/ ٣٤) .

﴿ وَلَهُنّ مِثْلُ الّذي عَلَيْهِنّ بِالمَعْرُوفِ وللرجالِ عَلَيْهِنّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة/٢٢٨) .

هذه الدرجة يستحقها الرجل بحسن معاشرته لزوجته وسداد تدبيره

---

(١) الترمذي : سنن الترمذي : ٤/٢٧ د كتاب الفتن .

لأسرته بقواميته عليها وبما حباه الله من نعمة العقل وقوة التفكير وحسن رعايته في سبيل تحقيق الهدف مع ريحانته من إنشاء أسرة سليمة . . . ومن قوامية الرجل على أن لا يضعها في موقف يناقض طبيعتها الأنثوية فيخسرها إنسانة وأنثى ، « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة أي إنما تصلح للمتعة واللذة وليست وكيلاً في حال ، ولا وزيرا في رأي »[1] ولا يطمع الرجل المرأة في أن يكرم غيرها لأجلها فيقع في نفسها الغرور والزهو وحب التسلط فيصبح السلطان بيدها والمشورة لها ولو كانت على خطأ ، عندها يصدق قول الإمام علي (عليه السلام) .

« يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلّا الماحل ، ولا يظرف فيه إلّا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف ، يعدّون الصدقة غرماً وصلة الرحم منّاً ، والعبادة استطالة على الناس ، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء ، وإمارة الصبيان ، وتدبير الخصيان »[2] .

أما إذا كانت المرأة متعلمة ومتفهمة ومثقفة وواعية . فإنها تستطيع إسداء النصح إلى زوجها بحكمتها ورزانتها ، وقدرتها على استيعاب الأمور وقوة إقناعها . هذا الرأي إذا ما توافق مع أحكام الشرع وما يمليه العقل ، كان محل تقدير ونظر ليس عند زوجها فقط وإنّما في المجتمع كله ودونما تمييز بينها وبين الرجل .

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٦/١٢٤ .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ٣/١٥٩ قصار الحكم/١٠٢ .

هذا النص أرجعه السيد عبد الزهراء الخطيب في كتابه « مصادر نهج البلاغة وأسانيده » ٤/٩٥ إلى ما قبل الشريف الرضي إلى : المبرد في الكامل ، ١/١٧٧ ، ابن واضح الأخباري في تاريخ اليعقوبي ٣/١٥١ الكليني في روضة الكافي ٥٧ ، وبعد الشريف الرضي أرجعه إلى الآمدي في غرر الحكم وجوامع الكلم ٣٦٣ وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ١/١٥٠ .

يقول الإمام علي (عليه السلام) لولده الإمام الحسن (عليه السلام) ومن ورائه لكل الرجال :

« إياك والتغاير في غير موضع غيره ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ، والبريئة إلى الريب » .

الغيرة كما أسلفنا للمرأة كفر وللرجل إيمان . أما إذا وصلت الغيرة إلى حد التغاير أي الغيرة مع الإتهام بدون مسوّغ ، فإن ذلك يدفع العاقلة من الصواب إلى الخطأ ، إذ أن كثرة الشك تقلب الحياة إلى جحيم ، وما دام الرجل وصل به حدّ الغيرة إلى عدم الثقة وسوء الظن بالزوجة ، فلا يفاجأ الرجل إذا استهترت المرأة عندها بكل القيم والأخلاق .

وهنا ننقل رأي الشيخ مغنية في هذه المسألة حيث يقول :

المرأة ريحانة : « خلقت للرقة والحنان ، والدعة والإطمئنان . . لك أن تغار على المرأة (أيّها الرجل) بصيانتها من التبرج ومخالطة المشبوهين . أمّا الغيرة برجم الظنون فإنها تشجع السقيمة على الخيانة ، وتغري البريئة بها ، وتقول في نفسها : كنت أحرص على ثقته بأمانتي وعفافي . أما وقد أصبحت عنده في مكان الريب فلم يبق ما أحرص عليه »[1] .

ولذلك فإن الإمام حين يوصي بإحترام المرأة ووضعها في مكانها الطبيعي لممارسة دورها الأنثوي الذي أوجدها الله من أجله أوصى الرجل بعدم الظن بها والإساءة إليها « ولتكن غيرة الرجل مليئة بالحب والثقة لحمايتها لا بالشك والإتهام لأن الشك يطفىء نور القلب »[2] فيذهب الحب ويذهب الأمان والإطمئنان ويقع الفراق . بما لهذه الكلمة من مضامين مأسوية .

---

(١) محمد جواد مغنية : في ظلال نهج البلاغة ٣/٥٣١ .

(٢) الآمدي : غرر الحكم وجوامع الكلم ١/٦٠ .

المرأة وحسن التبعُّل

لعل مسألة حسن التبعل من أهم عوامل استقرار الحياة الزوجية وتحقيق سعادتها ، وإن كان كل من الرجل والمرأة معنيان بهذا الأمر لأنه يدل على مدى الإلتزام الديني والأخلاقي الذي يتمتع به كل منهما ، إلاّ أن هذه المهمة ملقاة على عاتق المرأة أكثر مما هي تقع على عاتق الرجل ، ولذا فإنّ « جهاد المرأة حسن التبعل » من النصوص التي يجب التوقف عندها طويلاً في موضوع بحثنا « المرأة في نهج البلاغة » لأهميته الأسروية .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« الصلاة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف ، ولكل شيء زكاة وزكاة البدن الصيام ، وجهاد المرأة حسن التبعل »[1] .

ونجد هذا القول متوافقاً مع قول معلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأسماء الأنصارية وقد جاءت تسائله عن دور المرأة الجهادي مقابل جهاد الرجل ومرابطته في سبيل الله ، وحتى تطمئن على دور المرأة الرسالية في سير الدعوة الإسلامية ، فيجيبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « انصرفي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ، فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً »[2] .

وفي حديث آخر يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« ما استفاد امرؤ فائدة من الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١٧٠/٣ الحكمة ١٣٦ أرجعها السيد الخطيب إلى الصدوق في الخصال ، ١٦٢/٢ ، وفي فروع الكافي ٩/٥ ، والبحراني في تحف العقول ، ٢٢١ ما عدا حسن التبعل .

(٢) الري شهري : ميزان الحكمة ٩٦/٩ و٩٧ .

نظر إليها وتطيعه إذا أمرها ، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسه وماله »[1] .

ولا بد ومن خلال سياق الحديث عن « المرأة في نهج البلاغة » من أن نستطرد إلى حقوق كل من الزوجة والزوج حتى يجد القارىء أن « حسن التبعل » هو واجب كل من الزوجين تجاه الآخر ، وهو من السعادة الزوجية وقد قال الله في محكم كتابه العزيز : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِه أن خَلَقَ لَكُمْ من أنفُسِكُم أزْواجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْها وَجَعَلَ بَيْنكُم مَوَدّة ورَحْمَةً إنّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَرون** ﴾ (الروم/٢١) .

حق الزوج على الزوجة ، وحسن تبعل الزوجة

ونبدأ بحق الزوج على الزوجة (حتى لا يتهمنا الرجال بالأنانية وبأننا نطالبهم بأكثر من طاقتهم ، ولنبحث بشيء من الإختصار هذه الحقوق لعلّنا إن أعطينا الرجال حقوقهم ، نخجلهم ونجبرهم بالإحسان والمعروف على إعطاء المرأة حقوقها لعل وعسى) .

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لإحدى النساء وقد سألته عن حق الزوج على الزوجة : « . . . وأكثر من ذلك ليس لها أن تصوم إلّا بإذنه ، ولا تخرج من بيتها بغير إذنه ، وعليها أن تتطيب طيبها ، وتلبس أحسن ثيابها وتتزين بأحسن زينتها ، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية ، وأكثر من ذلك حقوقه عليها »[2] .

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : « خير نسائكم الولود ، الودود ، العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة مع زوجها ، الحصان على غيره ، التي تسمع قوله وتطيع أمره ، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها ولم تبذل كتبذل الرجال »[3] .

---

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ٣٧/٧ .
(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ٨٢/٧ .
(٣) المصدر نفسه : ١٧/٧ .

« وهي تحفظه كما يحفظها وتستره كما يسترها » ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ (البقرة/١٨٧) . وفي هذا تصوير فني رائع صور به القرآن الكريم حاجة كل منهما للآخر ، وإن حسن التبعل يكون بتوفير أسباب المتعة والجمال للزوج ، والإشباع الغريزي والميل الجنسي في نفسه عن طريق العناية بالأناقة والنظافة والزينة والتودد وحسن الإستمالة والإستجابة ، نظراً لما لهذا الجانب من تأثير بالغ الأهمية على جذب الرجل والمرأة ، وتوثيق علائق الحب معه والإرتباط به ، وتوفير الراحة والرضا في نفسه . وقطع طريق الخيانة الزوجية والوقوع في شرك الإغراء المحرم »[١] .

والزينة التي اعتبرها الإمام من هموم النساء « إن النساء همهن زينة الحياة الدنيا »[٢] هي واجبة على الزوجة التي « تسرّ الرجل إذا نظر إليها » فعلى المرأة أن تتطيب بأطيب طيبها ، وتلبس أحسن ثيابها وتتزين بأحسن زينتها ، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية :

﴿ **قُلْ من حَرَّم زينَةَ الله التي أَخْرَجَ لِعبادِه والطّيّبات من الرِزقِ قُلْ هي للذين آمَنُوا في الحياةِ الدُّنيا خَالِصةً يَوْمَ القِيامَةَ** ﴾ (الأعراف/٣٢) ﴿ **ولا يُبْدِينَ زِيْنَتَهُنَّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾ (النور/٣١) وفي هذا كل السرور والفرح الذي يجده الزوج في زوجته التي تسره إذا نظر إليها .

وعلى المرأة أن لا تكون من المسوفات ، سألت إحدى النساء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما المسوفات يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قال : « المرأة التي يرنوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوفه حتى ينعس زوجها وينام فتلك لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها »[٣] .

---

(١) العلي : همسة إلى المؤمنة : كيف تسعدين زوجك . مجلة المؤمنة ع/٦٣ ص٢٧ .
(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ٤٣/٢ . الخطبة ١٥٣ .
(٣) الكليني : الفروع من الكافي ، ٥/٥٠٨و ٥٠٩ .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للنساء : « لا تطولن صلواتكن لتمنعن أزواجكن »[1] وقد صاغ القرآن الكريم حقّ الإستمتاع بتصوير معبر ومختصر بقوله :

﴿ نِسَاؤُكم حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُم أنّى شئتم ﴾ (البقرة/٢٢٣) .

وقد وجدنا في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلميذه الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة النصائح المثلى للزوجة الصالحة التي تنشد السعادة الزوجية بحسن التبعل وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، فإن فعالهن أحرى أن يكنّ حسناً »[2] .

وليس « حسن التبعل » فقط في تحقيق رغبات الزوج الجنسية وتحصينه من شرك المحرمات ، بل « حسن التبعل » أيضاً هو في طاعة الزوج وحفظ سمعته وحفظ عرضه وماله ومصارحته وعدم الكذب عليه « والقناعة بالميسور وحسن التدبير، وترك المنّة على الزوج وأن توافقه فيما يرضى الله ، وتجمل في الغيرة ونحو ذلك مّما يسدّ منافذ الهموم والغموم والظنون »[3] وأن لا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته ، فلتأته ، وإن كانت على التنّور »[4] .

وهكذا فقد خّص الإمام (عليه السلام) في « حسن التبعل » كل أخلاقية التعامل مع الزوج وإعطائه حقوقه كاملة في زيادة دون نقصان ، لأن حسن التبعل هو جهاد المرأة ، فإن أحسنته وجبت لها الجنة كما أكد

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) خبر نعمي : وسائل الشيعة ٧/٣٧ .

(٣) مغنية : في ظلال نهج البلاغة ٤/٣٠٦ .

(٤) الترمذي : سنن الترمذي ٣/٤٦٥ باب في جاء في حق الزوج على الزوجة .

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لـرجل أتـاه قائـلاً : « إن لي زوجة إذا دخلت تلقتني وإذا خرجت شيعتني ، وإذا رأتني مهموماً قالت لي : مـا يهمك ؟ إن كنت تهتم لرزقـك فقد تكفـل به غـيرك ، وإن كنت تهتم لأمر آخرتك فزادك الله هماً فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن لله عمالاً ، وهذه من عماله ، لها نصف أجر شهيد »(1) .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في « حسن التبعـل » : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »(2) .

وهنـاك أحاديث شريفـة تحثّ الزوجـة عـلى « حسن التبعـل » يضيق المجـال عن ذكرهـا في بحثنا المخصص عن « المرأة في نهج البـلاغـة » وإن كانت هذه الأحـاديث لتزيـدنا معـرفة ونـوراً وفائـدة ، وخير مـا نختصر به « حسن التبعل » وصية تلك المرأة الأعرابية لابنتها ليلة زفافها والتي تشكـل « همسة في أذن كل مؤمنة »(3) تسعى إلى إسعاد زوجها تقول السيدة :

« أي بنيـة لو كـانت الوصيـة تـترك لفضـل أدب . أو لتقـدم حسب لـزويت ذلك عنـك ، ولكنها تـذكرة للغـافل ومؤونـة للعاقـل ، يا بنيـة لو استغنـت امـرأة عن زوج بفضـل مـال أبيهـا لكنت أغنى الناس عن ذلـك ولكن للرجال خلقنا كما خلقوا لنا .

يا بنية إنك فارقت بيتك الذي فيـه درجت إلى وطن لم تعرفيـه وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي منه خصالاً عشـراً يكـن لك ذكراً وسنداً .

---

(1) الحر العاملي : وسائل الشيعة ١٧/٧ .

(2) الترمذي : سنن الترمذي ٤٦٥/٣ ، الكليني : الفروع من الكافي ٥٠٨/٥ .

(3) العلي : همسة المؤمنـة : كيف تسعدين زوجـك ، مجلة المؤمنة ٢٧/٦٣ ذي القعـدة ، ذي الحجة ١٤٠٩هـ/حزيران ـ تموز ١٩٨٩ (بتصرف) الوصية عن ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٣٣٢/١٨ .

أما الأولى والثانية : فالصحبة والقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة فإنه في القناعة راحة القلب وفي حسن المعاشرة مرضاة الرب .

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموضع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه منك إلاّ أطيب ريح ، واعلمي يا بنية أن الماء أطيب الطيب المفقود .

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه والتفقد لحين منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالإحتفاظ ببيته وماله ، والرعاية لحشمه وعياله ، فإن حفظ المال أصل والرعاية للحشم والعيال من حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشينّ له سراً ، ولا تعصينّ له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوعزت صدره ، واتقّي من ذلك الفرح كله إن كان ترحاً ، والإكتئاب إن كان فرحاً ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة ، واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وتقدمي هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت والله يضع لك الخير واستودعك الله »[1] .

هذه الوصية القيّمة نتمنى لو أن كل أم تسلح بها ابنتها وهي على عتبة الزواج وعندها سنفتقد بإذن الله وبحمده « أبغض الحلال » الذي هو الطلاق .

---

(١) العلي : همسة إلى المؤمنة : كيف تسعدين زوجك ، مجلة المؤمنة ٦٣/٢٧ ذي القعدة ، ذي الحجة ١٤٠٩هـ/حزيران - تموز ١٩٨٩م (بتصرف) الوصية عن ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٨/٣٣٢ .

حق الزوجة على الزوج : أو حسن المعاشرة

إن حسن تبعل المرأة لزوجها يقابله حسن المعاشرة من الزوج للزوجة على أساس من الود والرحمة « فقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمرأة حتى ظننا أن لا ينبغي طلاقها إلاّ بفاحشة مبينة »(١) وكما يقول الإمام علي (عليه السلام) : « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة »(٢) .

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أيضرب أحدكم امرأته ثم يظل معانقها »(٣) « وأن قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً »(٤) .

لقد صوّر الله المرأة بأنها السكن والمودة والرحمة فلبيت تحقق فيه هذه المشاعر السامية لهو نعمة من نعم الله توجب الشكر في كل لحظة ، وفي هذا يقول الإمام السجاد(عليه السلام)(*) .

« وحق الزوجة أن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً وتعلم أن ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها وإن كان حقك عليها أوجب ، فإن لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك ، وتطعمها وتكسوها فإذا جهلت عفوت عنها »(٥) .

والزوجة عون الرجل فمن واجبه أن يعاملها المعاملة التي تليق بتربيته

---

(١) الكليني : الفروع من الكافي ٥/٥١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٥/٥١٠ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ٧/٢٢ .

(٤) المصدر نفسه .

(*) الإمام السجاد (عليه السلام) : هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لقب بالسجاد لكثرة سجوده ، وكذلك لقب بالإمام زين العابدين .

(٥) القبانجي : شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) ١/٥١٧ .

الإسلامية وتنم عن حسن سريرته أولاً ، ومن ثم المعاملة التي تليق بالمرأة كأنثى وإنسانة ، فإن ذلك دليل على كمال خلق الرجل وتمام إيمانه . وإذا كان لا بد من أن يكون فيها بعض العيوب التي لا يرضاها الزوج ، فلا شك أن هناك صفات كثيرة غيرها تعوض عنها وتقوم مقامها وتدعو للإعجاب والتمسك بالزوجة ومعاملتها بالحسنى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فيه خَيراً كثيراً ﴾ (النساء/١٩) .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت »[١] ويقيناً أن المرأة لا يهمها أن تطعمها أو كيف تطعمها وتكسوها . فهذا متيسر لها لو عملت في أوضع المهن أو أحسنها وهو عندها أهون من كلمة إهانة أو تجريح ، وليتذكر الزوج المؤمن قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم ﴾ (القلم/٤)[٢] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) « إذا أراد أحدكم أن يتزوج امرأة . فليقل : أقررت بالميثاق الذي أخذ الله ، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان »[٣] .

ولا أجد أبلغ من هذا الميثاق ولا أروع ولا أقدس ولا أعمق منه وإن ما تجده المرأة في زوجها تلخصه هذه الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنه قد انصرف من سرية كان أصيب فيها كثير من المسلمين فاستقبلته النساء يسألن عن قتلاهن ، فدنت منه امرأة فقالت : يا رسول الله ما فعل فلان ؟ قال(صّلى الله عليه وآله وسلم) : وما هو منك ؟ قالت أخي ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : إحمدي الله

---

(١) الكليني : م . س ٥/٥٠٧ .

(٢) العلي : أخي المؤمن هل أنت أهل للسعادة ؟ مجلة المؤمنة ع/٦٧ رجب شوال ١٤١٠ هـ/شباط أيار ١٩٩٠ م .

(٣) الكليني : الفروع من الكافي : ٥/٢٠٢ .

واسترجعي لقد استشهد ، ففعلت ذلك ثم قالت : يا رسول الله ما فعل فلان ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وما هو منك ؟ فقالت : زوجي ، قال : إحمدي الله واسترجعي فقد استشهد ، فقالت: واذلاه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما كنت أظن أن المرأة تجد بزوجها (هذا كله) حتى رأيت هذه المرأة »[1] فالرجل المؤمن الطيب هو عزّ المرأة وكرامتها وعنفوانها ، ولذلك فإن خير الرجال خيرهم لزوجته .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ألا أن خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائي »[2] وليتذكر الرجل المؤمن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركته انتفعت به وإن أقمته كسرته »[3] وهذا خير معبر عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس التكوين الطبيعي للمرأة حيث أنها أنثى رقيقة متسلطة بفكرها.وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن حب النساء من أخلاق الأنبياء »[4] « وحبّب إليّ من الدنيا النساء والطيّب[5] كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً بالنساء »[6] . « جعل قرة عيني في الصلاة ولذتي في النساء »[7] .

وخلاصة القول في ما قدمناه من حسن التبعل وحسن المعاشرة أن الإمام علي (عليه السلام) حريص ومن خلال هذه التوصية (جهاد المرأة حسن التبعل) على حفظ المجتمع الإسلامي بحفظ كل من الرجل والمرأة للأسرة ، ومعرفة كل منهما حقوقه وواجباته بما يكفل الإستقرار والعيش السعيد . ولا شك أن كلام الإمام علي (عليه السلام) هو عين كلام

---

(١) الطبرسي : مكارم الأخلاق ٢٣٣ .
(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ١٢٢/٧ .
(٣) الطبرسي : مكارم الأخلاق ٢١٦ .
(٤و٥و٦) رى شهري : ميزان الحكمة ١٠٧/٩ .
(٧) الكليني : الفروع من الكافي ٣٢١/٥ .

القرآن وكلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو تلميذهما البار ويعسوب الدين وإمام المتقين .

المرأة وخيار الخصال

إن « للمرأة في نهج البلاغة » خصالاً حميدة تختلف عن خصال الرجل ، وهذا الإختلاف طبيعي نظراً للإختلاف التكويني والتوظيفي والأخلاقي والفطري لكل من المرأة والرجل ، فخير خصال النساء تعتبر شر خصال الرجل ، وفي هذا يقول الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة :

« خيار خصال النساء ، شرار خصال الرجل : الزهو والجبن والبخل ، فإذا كانت مزهوة لم تمكن من نفسها ، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها »[1] فإن إعجاب المرأة في نفسها يدفعها للعفة ويحصنها من كل ما يمس شرفها بسوء ، وإن كانت بخيلة حفظت مال زوجها وعيالها فلم تبددها على زينتها وتبرجها ، وإذا كانت جبانة هربت من كل ما يعرضها وبيتها للمهالك وحسبت لكلامها وخطواتها ألف حساب وتنبهت لعواقب الأمور .

أما الرجل فإن من أهم خصال الرجولة فيه : التواضع ، والكرم والشجاعة دون إسراف حتى لا ينقلب التواضع ذلاً ، والكرم إسرافاً ، والشجاعة تهوراً وضعف رأي وقصر نظر .

وإن خيار خصال النساء التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) هي

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١٨٨/٣ ، الحكمة ٢٣٤ . أثبتها السيد عبد الزهراء الخطيب في مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١٨٦/٤ ،أبي طالب للمالكي في قوت القلوب ٥٢٢/٢ ، الزمخشري في ربيع الأبرار ٣٣٩/١ ، الآمدي في غرر الحكم وجوامع الكلم ١٧٢ ، روضة الواعظين ٣٧٢ .

عينها التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يقول : « إن خير نسائكم الولود الودود ، العفيفة ، العزيزة في أهلها ، الذليلة مع زوجها ، الحصان على غيره ، والتي تسمع قوله ، وتطيع أمره »[1] وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها ، وتطيعه إذا أمرها ، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسه وماله »[2] .

وينقل الشيخ مغنية عن أستاذه قوله : « تستطيع المرأة الفقيرة التي لا تملك شيئاً من المال أن تعين الزوج بمالها . . . » وكيف ذلك وأنّى لفاقد الشيء أن يعطيه ؟ يتساءل الشيخ مغنية فيجيبه أستاذه : تصبر ولا تضايقه بكثرة الطلب ، وتحرص على القليل وتشح به إلا لضرورة . ومن كفاك فقد أغناك[3] .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أيما امرأة أعانت زوجها على الحج والجهاد أو طلب العلم أعطاها الله من الثواب ما يعطي امرأة أيوب (عليه السلام) »[4] .

وأيّما امرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلفته ما لا يطيق لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً إلاّ أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته »[5] .

وإذا أعانت المرأة زوجها بمالها فلا تمنّ عليه فيحبط عملها ، لأن أيّما امرأة منّت على زوجها بمالها فتقول: « إنّما تأكل أنت من مالي ، لو أنها تصدقت بذلك المال في سبيل الله لا يقبل الله منها إلاّ أن يرضى عنها

---

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ١٧/٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٣/٧ .
(٣) محمد جواد مغنية : في ظلال نهج البلاغة ٣٥٧/٤ (بتصرف) .
(٤و٥) الطبرسي : مكارم الأخلاق ٢٠١ .

زوجها »[1] فبركة المرأة قلة مؤونتها وقلة مهرها فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

« أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً »[2] .

وحول خيار خصال النساء يقول ابن أبي الحديد أن الطغرائي شاعر العجم أخذ المعنى عن الإمام علي (عليه السلام) فقال :

الجود والإحترام في فتيانهم والبخل في الفتيات والإشفاق
والطعن في الأحداق دأب رماتهم والراميات سهامها الأحداق[3]

ومن حكم أفلاطون ننقل : « من أقوى الأسباب في محبة الرجل لإمرأته وإتفاق ما بينهما أن يكون صوتها دون صوته بالطبع ، وتميّزها دون تميزه وقلبها أضعف من قلبه فإذا زاد من هذا عندها شيء على ما عند الرجل تنافرا على مقداره »[4] .

وخلاصة القول أن الإمام علي (عليه السلام) ذكر الخصال الخيرة في المرأة فكان ذكره لها مطابقاً لما ورد في الشرع الإسلامي والأحاديث الشريفة ، فكانت المرأة المؤمنة الخيرة العفيفة ، الشريفة ، الستيرة ، القنوعة ، التي لا تكلف الزوج أكثر من طاقته ، وتجنب نفسها وزوجها المواقف الصعبة التي لا تحمد عقباها ، وذلك بقوة تفكيرها وحصانة رأيها وحسن تقديرها للأمور ، والتي تحفظ شرفها وشرف زوجها وماله ، ولا تكون المرأة كذلك حتى تكون من بيت تأسس على التقوى والأخلاق الفاضلة ، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إياكم وخضراء الدمن » ، قيل : « يا رسول الله ، وما خضراء الدمن » . قال : « المرأة الحسناء في منبت السوء »[5] .

(١و٢) المصدر السابق .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٦٥/١٩ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الطبرسي : مصدر سابق ٢٠٣ .

نصوص أخرى حول
« المرأة في نهج البلاغة »

إن ما استعرضناه من نصوص حول المرأة في نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) تشكل الأفكار الرئيسية العامة في المرأة . إلّا أن هناك نصوص وآراء أخرى سوف نستعرضها سريعاً ، مراعاة لطبيعة البحث . في هذه النصوص يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« المرأة شر كلها ، وشر ما فيها أنه لا بد منها »(١) .

« المرأة عقرب حلوة اللَّبْسَةِ أو اللسعة »(٢) .

« أعذبوا(*) عن النساء ما استطعتم »(٣) .

« لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت »(٤) .

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١٨٨/٢ الحمة ٢٣٤ ، وأيضاً الآمدي : غرر الحكم وجوامع الكلم ٤٧/١٠ .

(٢) محمد عبده : م . س ١٥١/٣ ، قصار الحكم ٦١ .

(*) أعذبوا وأصوفوا : أي أعرضوا واتركوا .

(٣) محمد عبده : نهج البلاغة ١٩٦/٣ وغريب الكلام . ذكره أبو عبيد في الغريب ١٨٣/٣ ، ونقله الهروي في (الجمع بين الغريبين) على ما حكاه ابن الأثير مادة (أعْذَبَ) ١٩٠/٣ (الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢٠٩/٤) .

(٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٩٥/٢٠ ، في الحكم المنسوبة للإمام علي (عليه السلام) ٢٩٥/٢٠ .

هل المرأة أصل الغواية ؟

إنها شبهة تاريخية حول المرأة يجب دفعها قبل تشريح النص الأول .

النساء هن الركن الأول والعامل الجوهري للإجتماع الإنساني[1] .

وعملية الإحتياج المتبادلة بين الرجل والمرأة تعني أن الرجل بحاجة للمرأة :

ـ للإحتياج الخاص : وهو الإمتاع الغريزي .

ـ للإحتياج الأسرى : أن الرجل لا يستطيع أن يشكل أسرة بمفرده وكذلك المرأة .

ـ والإحتياج العام : وهي حاجة المجتمع للمرأة والرجل حيث أن المجتمع هو حصيلة اجتماع الرجال والنساء ، وممارسة كل جنس دوره في الحياة الإجتماعية ، وما يريده الرجل من المرأة تريده المرأة من الرجل من دون تمييز .

﴿ يا أيُّها الناسُ اتّقُوا ربكُم الّذي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجها وَبَثّ مِنْهَا رجالاً كثيراً ونساءً ﴾ (النساء/١) .

وإذا كنا قد استطردنا في هذا النص إلى موضع الخلقة ، فلنلفت النظر ، لا لنؤكد بأن كل من المرأة والرجل خلقا من طينة واحدة ، وعلى هذا فإن النفس الأمارة بالسوء أو بالخير هي نفس المرأة كما هي نفس الرجل في التقوى أو الشقاء .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (الشمس/٧و٨) .

---

(١) الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن ٤/٢٠٦ .

وهذا يعني أن المرأة أصل الغواية والشر هي شبهة تاريخية حول المرأة وشبهة باطلة ومرفوضة ومردودة بدليل أنّ الشيطان أغوى المرأة والرجل معاً وهذا ما يؤكده القرآن الكريم .

﴿ويا آدمُ اسكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة فَكُلا مِنْهـا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشيطانُ لِيُبدي لَهُما ما ورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءاتِهما وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُما عَنْ هَذِه الشجرةِ إلاّ أنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أو تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ . وقَاسَمَهُما إني لَكُمَا من الناصِحِينَ . فَدَلاَّهُما بِغُرورٍ فَلَما ذاقا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما وَطفِقَا يَخْصِفانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَق الجنةِ وَنَادَاهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وأَقُل لَكُما أنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبين . قَالاَ رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وإنْ لَم تَغْفِر لَنَا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ (الأعراف/١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣) .

فكل من الرجل والمرأة اشتركا في المعصية وفي التوبة ، وقبل ذلك كان الأمر لآدم وزوجته بأن يسكنا الجنة ، فالأمر صدر بالتساوي فيما بينهما . والشيطان وسوس لهما دون تمييز ، وبالتالي فإنّ شبهة « المرأة أصل الغواية » هي شبهة باطلة .

وحيث أنَّ « رأس الكسلان معمل للشيطان »[١] فالمرأة الضعيفة العقل ، والتي تطغى عليها عاطفتها ، فتفرغها من مضمون الإنسانية يجد الشيطان طريقه إليها بسهولة ، ولذلك يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« ما لإبليس من جندٍ أعظم من النساء والغضب »[٢] باعتبار أن القوة الغضبية تسيطر على أعصاب الإنسان وتمنعه من التفكير ، والنساء حبائل الشيطان »[٣] .

---

(١) لا أعرف القائل وإن كنت متأكدة من القول .

(٢) ري شهري : ميزان الحكمة ٩/١٠٧ .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٨/١٩٩ ، حديث شريف .

أضف إلى ذلك أن ظلم المجتمع للمرأة وسوء تربيتها يساهمان في إتجاهها ، نحو الشر ، لأن المرأة مخلوق ضعيف بتكوينه ، فإنها تتجه إلى المكائد والدسائس لذلك قال الله تعالى : ﴿ إن كيدكُنَّ عظيم ﴾ (يوسف/٢٨) وحيث أن المرأة ضرورة إجتماعية بل هي في أصل التكوين ولا يمكن الإستغناء عنها حتى ولو كانت من النوع الشرير لذلك يقول الإمام علي (عليه السلام) :

« المرأة شر كلها ، وشر ما فيها أنه لا بد منها »[١] .

وخلاصة القول أن الإمام علي (عليه السلام) وهو الإمام المعصوم ، وتلميذ القرآن الكريم وربيب الرسالة المحمدية وقد صادف نماذج إيمانية رائعة للمرأة أمثال : أمه فاطمة بنت أسد وخديجة بنت خويلد (عليها السلام) وزوجته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام)[٢] أن من يرى النوع الخير من النساء ولا يمكن أن يتّهم المرأة بأنها شر ، وأن يعمم هذا الحكم على النساء كلها ، إلاّ أن يكون حكمه متجهاً نحو المرأة الشريرة التي أيضاً صادفها خلال عمره الشريف ويعني هذا أن المرأة شر هو لنوع خاص من النساء دون غيره .

« المرأة شر كلها » وتفسير الشراح

كيف يفسر شرّاح نهج البلاغة هذا النص ؟

الشيخ البحراني يقول : « المرأة شر على الرجل أي أنّه يتكفل بمؤونتها ، وأمّا الإستمتاع بها فيستلزم البعد عن الله والإشتغال عن طاعته ، ولما كان كونها لا بد منها أعني وجوب الحاجة إليها في طبيعة الوجود الدنيوية هو السبب في تحمل الرجل للمرأة وقوعه في شرورها وجب

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١٨٨/٣ الحكمة ٢٣٤ .

(٢) انظر المرأة في حياة الإمام علي (عليه السلام) في ص ٧٧ من هذا البحث .

أن يكـون ذلك الإعتبـار أقـوى الشرور المتعلقـة بهـا لأن السبب أقـوى من المسبب»[1] وهذا الذي توصل إليه الشيخ البحراني غير مقنـع لتناقضـه مع قـول رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : « التمسـوا الـرزق بالنكاح»[2]والإستمتاع بالمرأة عبادة: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي »[3] ولركعتان يصليهما متزوج أفضل من صـلاة رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره»[4] .

أما الشيخ مغنية وقد استبعـد أن تكون عـائشة أم المؤمنـين هي المرأة المقصودة من خلال تسامح الإمام علي (عليه السلام) معها ومع غيرها ممن عارضه كمعاوية وقد سقاه الماء بعد منعه منه ، وطلحة والزبير ، فإنّه يروي قصة هندوكيـة لطيفـة تبرهن حـاجة الـرجل إلى المـرأة ، وكيف أن الرجـل رضي أخيراً بما قسمه الله له مـع المرأة إلاّ أنـه أعجبني التشبيه الـذي أورده في القصة عن المرأة حيث يقول (وهو أجمـل ما قيـل في المرأة) : « إن الله عندما خلق المرأة أخذ من الأزاهير جمالهـا . ومن الأمواج ضحكتهـا ، ومن قوس القزح ألوانه ، ومن الـطيور أغـاريدهـا ، ومن النسيم قبلاتـه ، ومن الحمل وداعته ، ومن الثعلب مكره ، ومن زخاخ المـطر تقلبه ، ونسجها في مخلوقة أنثى ، وقدمها إلى آدم لتكون زوجـة » . . . ويقول الشيـخ مغنية : « ومعنى هـذه القصة أن المـرأة شر لا بد منـه منذ آدم إلى يـوم يبعثـون »[5] وهذه الرواية نوردها لما لها من مدلـول أسطوري شعـري جميل يعـطي المرأة صورة رائعة نسجتها مخيلة الحكماء .

أما إبن أبي الحديد فيقول : « من أتعب نفسه في الحلال من النساء لم

---

(١) البحراني : شرح نهج البلاغة ذ/٣٦١ .
(٢) الطبرسي : مكارم الأخلاق ١٩٦ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه : ١٩٧ .
(٥) مغنية : في ظلال نهج البلاغة ٤/٣٦٠ .

نقل ابن حمدون ، أن المصابيح ... البرازي عن حمد
كلامه ، هذه حكاية ... أنه دخل على شرفه ، فقال
صاحبه ... على ابن ... ذلك (١)

والشاعر ، يرى المرأة المنحرفة ... في كلامه من هذه الصفة فتنتبه
إلى سحرها وتأثيرها في الرجل والانحراف من ناحية أخرى ... والإفساد
فيه ، ويبدو التعبير صورة العقرب الحلوة اللسبة في تشبيه المرأة المعيبة صورة
حية ملونة تحمل الفتنة والسم في التشبيه ذاته (٢) .

صحيح على حد ... المرأة عقرب حلوة اللسعة إن المرأة تتركه
بإثره فيها إنه لا ... فيه ... من الكلمات اللطيفة جداً وهي أجمل ما قيل
في المرأة ... أنه أجمل ما في الكلام . فأين توجد العقرب الحلوة اللسعة .
بل كيف يتصف بالشر من لا يمكن التحرز عنه بل الضروري لكل
رجل (٣) .

وهكذا نجد أنفسنا وقد استدرجنا الكلام للحديث عن :

النص الثاني وشرحه

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : « المرأة عقرب
حلوة اللسبة » (٤) .

يقول البحراني : اللسبة العقرب لسعها ، واستعار الإمام علي
(عليه السلام) لفظ العقرب بالوصف المذكور لأن من شأنها الأذى لكن

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٩ / ٦٩ ، طبع : الشعب .
(٢) الأستاذ عبد الكريم الأشتر (كلية الآداب ، جامعة حلب ، سوريا) : موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من المرأة ، مجلة الغدير ، بيروت ع ٨ و ٩ ، ربيع الأول ١٤١١ هـ تشرين الأول ١٩٩٠ م ص ١٥١ .
(٣) انظر مادة المصدر السابق ص ١٥٣ من هذا البحث .
(٤) خليل ... مقالة مع المرأة في نهج البلاغة ع ٦ ربيع الثاني ١٤١٠ هـ تشرين الثاني ١٩٨٩ م .
(٥) انظر المصدر نفسه ص ١٥٣ من هذا البحث .

أذاها مشوب بما فيه من اللذة ، فلا يحس به ، وهو كأذى الجرب المشوب بلذته في زيادة حكّه .

أما الشيخ محمد عبده فإنه « يفسر اللبسة بالمعاشرة ، والعقرب لا تحلو لبستها أما المرأة فهي هي في الإيذاء لكنها حلوة اللبسة »[1] .

الشيخ مغنية يقول : « شبهها الإمام علي (عليه السلام) بالعقرب لأنها تسرع إلى الغضب على الرجل ، وتجحد معروفه لأمر تافه ، وقد تؤذيه بكلمة موجعة وحركة نابية بلا سبب موجب ومعقول فأوصاه الإمام بأن يصبر عليها ويتحملها على علاتها ، لأنها منها تكن فهي أخف وخير من العقرب التي لا يمكن معها العيش بحال[2] .

ولاحظت من خلال شروح نهج البلاغة أن الشرّاح جمعوا بين شرح النصين « المرأة شر لا بد منه » و« المرأة عقرب حلوة اللسبة » ومن هؤلاء ابن أبي الحديد حيث يفسر اللبسة : اللسعة ، ولبست العسل : أي لعقته ويروي بعض النكات منها :

« تزوج بعضهم امرأة نحيفة ، فقيل له في ذلك ، فقال : اخترت من الشرّ أقلّه »[3] و« رأى بعضهم جارية تحمل ناراً ، فقال : نار على نار ، والحامل شر من المحمول »[4] وقيل لسقراط : أي السباع أجسر . قال : المرأة[5] .

« ونظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة : فقال : ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة »[6] ونخلص إلى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

---

(١) البحراني : شرح نهج البلاغة ٥/٢٧٢ .
محمد عبده : نهج البلاغة ١٥١/٣ .

(٢) محمد جواد مغنية في ظلال نهج البلاغة ٢٥٢/٤ .

(٣)(٤)(٥)(٦) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٩٨/١٨ .

« المـرأة ضلع عوجـاء إن داريتها استمتعت بهـا ، وإن رمت تقويمهـا كسرتها »[1] .

وفي هذا يقول الشاعر :

هي الضلع العوجاء لست تقيمهـا ... ألا إن تقـويم الضلع إنكسـارهـا
أيجمعن ضعفـاً واقتدار عـلى الفتى ... أليس عجيباً ضعفها واقتـدارها[2]

والبعض يتهم المرأة بأن كيـدها أعـظم من كيد الشيـطان إذ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء/٧٦) وذكر النساء ﴿ إنه من كَيْدِهِنّ إنَّ كَيْدَهُنّ عظيم ﴾ (يوسف/٢٨) .

ولكي يأمن الرجل كيد المرأة وأذيتها ، عليه أن يتجنب فتح أي جبهة نقاش معها « أو أن يثير أعصابها ويغضبها ، ولكي يسعد بلقائها ، عليه أن لا يحاول تقويم إعوجاجها ، أما إذا حاول لعق العسل فعليه أن يتحمل مـا أمكن من لسعـات إبر النحـل وينسى إساءتهـا حتى ينعم بمغفرتهـا، وما دام « حب النساء من أخلاق الأنبياء »[3] ، ومن الإيمان ، فليزدد الرجل المؤمن حباً بالمرأة ولكن ليحفظ وصية الإمام علي (عليه السلام) :

« ليس ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت »[4] حتى لا يأخـذها المديح والغرور فتتسلط على الـرجل بـأنوثتهـا ، وتدفعـه للعمل في معصيـة الله ، أو حتى لا تكلفه ما لا طاقة له به بعنادها ودلالها .

---

(١)(٢) المصدر نفسه ١٨/١٩٩ .

(٣) المصدر نفسه : ١٨/٢٠٠ .

(٤) ري شهري : ميزان الحكمة ١٠٧/٩ .

(٥) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٩٥ الحكمة ٣٧٨ من الحكم المنسوبة للإمام علي (عليه السلام) .

ويتبين لنا من خلال ما تقدم أن النصين الأول والثاني هو لمديح المرأة لا لذمها فهي شر لا بد منه ولأن حاجة الرجل إليها فطرية أيضاً ولأن المرأة خلقت للرجل كما خلق لها وحيث أنها عقرب سريـع الغضب ، حلو المعشر ولذا فإن صبر الرجـل على لسعهـا وأذيتها يجعلهـا أطوع بيـده من معاملتهـا بلؤم وعصبية ، فإن من حسن معاشرة الرجل لزوجتـه أن يغفر لهـا إساءتهـا وجهلها ويحفظهـا من ضعفها ، « فـإن المرأة ريحـانة وليست بقهـرمانـة »[١] «فدارها عـلى كل حـال وأحسن الصحبة لهـا فيصفو عيشـك »[٢] وقد قـال رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) : « وإنمـا المرأة لعبـة فمن اتخذهـا فليصنها »[٣] .

النص الثالث وشرحه

هذا العسل الممزوج بالأذية في حالات السلم يصبـح خطراً في بعض الحالات فيقول الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة :

« أعذبوا عن النساء ما استطعتم »[٤] .

ومعناه أن أصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهن ، وامتنعـوا عن المقاربة لهن لأن ذلـك يفت في عضد الحميـة ، ويقدح في معـاقد العـزيمة ، ويكسر عن العدو ، ويلفت عن الإبعاد في الغزو ، وكل من امتنع من شيء فقد أعذب عنه[٥] .

ومعنى النص « أعـزبوا عن النسـاء ما استـطعتم »[٦] وهو من وصيـة

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ٥٦/٣ الكتاب ٣١ .

(٢) الطبرسي : مكارم الأخـلاق ٢١٨ من كلام الإمـام علي (عليـه السلام) لابنـه محمد بن الحنفية .

(٣) المصدر نفسه ٢١٨ .

(٤) محمد عبده : نهج البلاغة ١٩٦/٣/ انظر هامش ص٨٣ رقم ٣ .

(٥) محمد عبد : نهج البلاغة ١٩٦/٣ .

(٦) المصدر نفسه .

الإمام علي (عليه السلام) لجيشه : أن أعرضوا عن النساء فلا تفكروا فيهن لأن التفكير بهن يفت من عزيمة الرجال في الحروب . ولأن المرأة هي زينة الحياة الدنيا فالرجل يفكر بالحياة ويحبها من أجل النساء فيتخاذل في الحروب وينهزم . لذلك يوصي الإمام علي (عليه السلام) بالإمتناع عن مقاربة النساء في الحروب .

والأمر الأهم أن المرأة تحب زوجها وتمنعه من الخروج إلى الحرب حتى لا تفتقده أو تخسره . وقد ذكرنا في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع المرأة التي سألته (وقد عاد من الحرب) عن أخيها ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : احمدي الله واسترجعي فقد استشهد ففعلت ذلك . ثم سألته عن زوجها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : احمدي الله واسترجعي فقد استشهد ، عندها قالت المرأة : واذلاه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما كنت أظن أن المرأة تجد بزوجها (هذا كله) حتى رأيت هذه المرأة[1] ولهذا يقول الإمام علي (عليه السلام) : «أعذبوا عن النساء ما استطعتم» .

وفي منطق الحروب تستخدم المرأة كأخطر سلاح ، حيث يجري إلهاء المعسكرات بالنساء ، وهذا الأسلوب كفيل بأن يهزم أعتى الجيوش .

وكما يمكن أن تفت المرأة من عضد الرجل في الحروب بدموعها وزينتها وقد سمع الإمام علي (عليه السلام) بكاء النساء على قتلى صفين فقال (عليه السلام) :

« أتغلبكم نساؤكم على ما أسمع ؟ ألا تنهونهنّ عن هذا الرنين ؟ »[2] .

---

(١) الطبرسي : مكارم الأخلاق . ٢٢٣ (في نوادر النكاح) تجد : تحب .

(٢) محمد عبده : نهج البلاغة ٢١٢/٣ ، الحكمة ٣٢٢ هذا النص أثبته السيد الخطيب في كتابه مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٢٥١/٤ إلى : نصر بن مزاحم في كتابه صفين ٥٣١ . والطبري : تاريخ الأمم والملوك ٣٥/٦ .

خاتمة واستنتاجات في بحث
« المرأة في نهج البلاغة »

« للمرأة في نهج البلاغة » صولات وجولات . فتارة هي ضعيفة مسكينة ، وتارة هي قوية ثائرة . . . تارة للخير . . وتارة للشر وتارة « عقرب حلوة اللسعة »(١) والحذر منها باق في كل الحالات . . .

ونظرة الإمام علي (عليه السلام) للمرأة ، هي نظرة الإمام المعصوم الذي عرك الحياة وعركته وشاهد من المرأة صنوف العذاب ، وذاق منها حلوها ومرها ، فكان حلوها أحلى من العسل ومرها أمر من العلقم . . . وتولّى القضاء ، فلم تستطع المرأة أن تفلت من عدله وهو أقضى القضاة . كان عادلاً في حكمه عليها كما كان صائباً في نظرته لها ، وكان متسامحاً معها « وقد علمتم ما كان من أمره مع عائشة (رض) فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة أكثر من أربعين امرأة »(٢) رغم أنها أتت لتحاربه وجيّشت الجيوش لتقضي عليه ، ولكن بلغة الصفح والعفو والحلم عند المقدرة عفا الإمام علي (عليه السلام) عنها ومنع أسرها وسبيها وسبّها وعاقب من سبها ، هذه اللغة لغة التسامح التي يتقنها الإمام علي (عليه السلام) وهو

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١٥١/٣ .

(٢) انظر ص ١١١ من هذا البحث .

الكريم الأصل ، ربيب الرسالة ، وإمام المتقين ، جعلت المرأة (عائشة) تقول له : ما ازددت يا ابن أبي طالب إلّا كرماً[1] .

« والمرأة في نهج البلاغة » هي المرأة الريحانة الضعيفة التي تحتاج إلى رعاية الرجل ومحبته وحمايته ، ولم يقل الإمام علي (عليه السلام) في المرأة إلّا ما يرضي الله ويتوافق مع السنة النبوية الشريفة التي تربّى في أحضانها .

كيف وصف الإمام « المرأة في نهج البلاغة »

وصف الإمام علي (عليه السلام) المرأة في نهج البلاغة فأجاد وصفها وهو الإمام الإنسان المعصوم الذي دعكته التجربة وصقله المراس فجرت الحكمة على لسانه قوية ثابتة لم تزلزلها السنون ، وكان وصفه للمرأة وصف العالم ببواطن الأمور وظواهر النفوس وخباياها نفسياً وأخلاقياً وإجتماعياً وحتى سياسياً ، فهي تارة عنده فتنة يجب التعامل معها بحذر ، وتارة طيبة معطاءة ، ونلمحها ثائرة حاقدة حتى النفس الأخير ، مؤمنة محبة حتى الثمالة وعدوة مبغضة حتى الموت . وغيورة حتى الكفر إنها المرأة بكل أحوالها وتقلباتها . . . وفي كل هذه التقلبات يجد الإمام علي (عليه السلام) العلاج الشافي لكل أدوائها . . . فالمرأة عنده لغز يستطيع حلّه كل من استطاع أن يسبر غورها ويستنبش سريرتها ويكتشف نوع شخصيتها فهي :

أ ـ المرأة والعقل[2]

بعد مراجعة الأحكام المتعلقة بالمرأة نتيجة لطبيعتها التكوينية ، وجدنا أن رأي الإمام علي (عليه السلام) في هذه المسألة لا يخالف الشرع ولا السنة النبوية والنقصان في العقل والإيمان والحظ الذي يطرأ عليها

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) أنظر ص ٩٥ من هذا البحث .

ليست مسؤولة عنه ، فنقصان العقل تعوضه بعاطفتها الفياضة ، وإيمانها ينقص في حالات خاصة خارجة عن إرادتها . ومجرد إلتزامها بالحكم الشرعي هو عبادة بحد ذاته ، أما نقصان حظها فمجبور بما يقدمه لها الرجل عن طيب خاطر ومحبة صادقة من مهر ونفقة إعزازاً وصيانة لها وتكريماً ، وجدنا أن المرأة تتفوق أحياناً بعقلها وقد تفوق الرجل عقلاً وتستدرجه إلى ما تريد وتقحمه حيث تريد . . . فيستحق الرجال عندها أن ينعتهم الإمام علي (عليه السلام) بأنّهم : « جند المرأة وأتباع البهيمة »[١] .

ب ـ المرأة الفتنة[٢]

كيف يطلب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن لا يقول المرأة الفتنة وقد كلفت حربها أكثر من خمسة عشر ألف قتيل (والدعوة الإسلامية في طورها الأول) ومن بقي كان مشوهاً شاهداً حياً أنه كان مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين[٣] .

إنها الفتنة بعينها وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « ما تركت بعدي فتنة أضر من النساء على الرجال »[٤] « والنساء حبائل الشيطان »[٥] ورغم ذلك أكرم الإمام علي (عليه السلام) عائشة (رض) لأنها المرأة ، ولأنها زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فالمرأة هي المرأة بنظره وإن اختلف موقعها ، وقد حمل الإمام علي (عليه السلام) المسؤولية للرجل الذي اتخذها مطية لغرضه ، فحبس زوجته وأطلق حبيس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مستغلاً ضعف نفسها وحقدها .

---

(١)(٢) أنظر صفحة ١٠٣ من هذا البحث .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٣٨٠/٢ .

(٤)(٥) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٩٩/١٨ .

هي المرأة الأنثى عند الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة هي كتلة من الأحـاسيس المتناقضـة التي لا تعرف حلولاً وسـطاً . . هي المحبـة التي تكتم حبها أربعين سنة وهي العدوة المبغضة التي لا تكتم بغضها لحظة واحدة ويسيطر عليها شعور الإنتقام حتى ولو كلفها ذلك حيـاتها وحيـاة من حولها ، وحياة من تكره قبل كل شيء .

هي المرأة التي كل همها الزينـة[1] وتشدهـا زينتها إلى الغـواية وتحقيق المـآرب حتى الإفساد . . إلاّ المـرأة المؤمنة فهي خـائفة مستكينـة مشفقة من عذاب الآخرة . . ومن عواقب الأمور .

وهي الغيورة التي تندفع بغيرتها نحو الكفر[2] ما دام في ذلـك إرضاءً لشهواتها وحبها للتملك والسيطرة . . .

وهي المرأة الريحانة التي لا تملك من الهموم ما جاوز نفسها فـإن ذلك يثقـل عليها وتنـوء بحمله ، يكفيها أنها الـزوجـة الأنثى التي يـأنس الـزوج بحسن تبعلها[3] ويسعد أولادها بقربها ويحتاجها المجتمع في حصافة رأيها .

هي المرأة الريحانة[4] التي مهما لسعت تبقى لسعتها حلوة وحبيبـة على قلب الـرجل . . .[5] فهي شر لا بـد منه . . .[6] لأنها من أصـل التكوين وليست دخيلة عليه . . .

ورغم ذلك فكلما شاورها الرجل وبان له فساد رأيها تذكر قول الإمام

---

(١) أنظر ص ١٢٧ من هذا البحث المرأة العاطفة : ص ١١٨ من هذا البحث .
(٢) أنظر ص ١٢٤ من هذا البحث .
(٣) أنظر ص ١٤٠ من هذا البحث .
(٤) أنظر ص ١٣٧ من هذا البحث .
(٥) أنظر ص ١٥٨ من هذا البحث .
(٦) أنظر ص ١٥٣ من هذا البحث .

علي (عليه السلام) : « إياك ومشاورة النساء »[١] .

وإذا زلت قدم المرأة . . . نتذكر ، ألم يقل الإمام علي (عليه السلام) بستر المرأة وإبعادها عن الإختلاط وعن موضع الشبهات بكف بصرها وحجبها عن الأجانب[٢] .

خلاصة القول وآراء خاصة

لقد حمّل الإمام علي (عليه السلام) المسؤولية المباشرة للرجل عن أي انحراف أو خطأ تقع فيه المرأة ، إنطلاقاً من مبدأ وحق قوامية الرجل على المرأة أو مرجعية الأسرة للرجل باعتباره رب الأسرة ومدبرها إلى ما يحفظ الأسرة، فيرعاها ويتكفل باحتياجاتها ، وقد كانت القوامية من نصيب الرجل باعتباره الأقدر والأقوى على المصاعب .

وإن كانت المرأة لتفيض بالعاطفة ، فهذه العاطفة يمكن توظيفها لخير الأسرة والمجتمع إذا أجاد الرجل تنفيذ مسؤوليته في إطار القوامية ﴿ **الرِّجالُ قَوامُونَ على النِساء بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أنْفَقُوا من أمْوالِهِم** ﴾ (النساء/ ٣٤) .

وإن أحسن الرجل إلى زوجته وهي أسيرَهُ فصبر على أذيتها وغفر لها جهلها وأحسن معاملتها وتربيتها ، استحق على ذلك الأجر والثواب .

وقد كانت المرأة لتسيء للإمام علي (عليه السلام) فيحسن إليها ويكرمها ، فقد أوصى الإمام بالإحسان إلى المرأة ، فهي بحكم العاطفة لا تصبر على أذىً ، فتقول له : يا قاتل الأحبة ، يا مفرق الجمع[٣] ، وتقول له ذلك وقد أحرق قلبها وهي ترى أحب الناس إليها يفقد أو يقتل وتحرم منه .

---

(١) أنظر ص ١٣١ من هذا البحث .

(٢) أنظر ص ١٣٣ من هذا البحث .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢٢٢/٥ .

فيقول الإمام علي (عليه السلام) لرجاله :

« ولا تهيجوا النساء بأذى ولو شتمن أعراضكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول »[1] .

والمرأة لغز حيّر الإمام علي (عليه السلام) ونستشف معاناته معها ، رغم قلة النصوص التي أوردها عن المرأة في نهج البلاغة ، فهي تارة ناقصة العقل ، فتنة ، وتارة عقرب حلوة اللسبة ، وشر لا بد منه ، ولم أرَ أجمل من هذا التشبيه للمرأة ، من حيث الإستمتاع بلذاتها والحاجة إليها وعدم الإستغناء عنها حتى ولو كان قربها جحيماً لا يطاق ، أو شراً مستطيراً وهذا يوافق قول الإمام علي (عليه السلام) :

« المرأة شر كلها ، وشر ما فيها أنه لا بد منها »[2] .

ولعل في عاطفة المرأة نحو الرجل وميلها إليه بكل حب وحنان وحسن معاملته لها ما يدفعها للتعلق به والتضحية من أجله ، ومعاملته بكل لطف ووداعة حتى إذا ما ظهر منه ما يثير غيرتها . . . انقلبت إلى لبوة حاقدة حاسدة فتحاول الإنتقام من كل من حاول المساس بسعادتها أو عكر صفو حياتها،وتلك هي الغيرة النابعة من العاطفة. وحب التملك للرجل الذي تحبه فتحاول إبعاده عن كل ما يثير غيرتها ولو تمنّعه من الزواج ثانية ، وهو منع لحق مشروع أو منعه من العدل مع زوجته الثانية في حال تعدد الزوجات وفي هذا تكون « غيرة المرأة كفر »[3] .

وكثيراً ما تقوم المرأة بالتضحية خدمة للزوج ومحبة به فتبني معه البيت والمستقبل بأمل وحب وحنان ، ولكن وتحت تأثير الغيرة تهدم كل شيء بنته

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) أنظر ص ١٥٣ من هذا البحث .

(٣) أنظر ص ١٢٤ من هذا البحث .

وتجعله هباءً منثوراً وهـذا ما قصـده الإمام عـلي (عليه السـلام) في قولـه : « أما بعد يا أهل العراق ، فإنما أنتم كالمرأة الحامـل حملت فلما أتمت أملصت ومات قيمها وطال تأيمها وورثها أبعدها »(١) .

أحب الإمام علي (عليه السلام) المرأة ، وهو إمـام المتقين ، « وكلما ازداد الـرجـل إيمـانـاً ازداد حبـاً بـالنســاء »(٢) فحب النسـاء من أخــلاق الأنبياء »(٣) حتى الدنيا كانت عنده امرأة فـاتنة إلاّ أنـه كان حـذراً منها كـما كان حذراً من خيار النساء ، مبتعداً عنها كابتعاده عن شرار النساء ، زاهداً فيها فيقول لها : « يا دنيا غرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثـلاثاً لا رجعة بعدها »(٤) .

« والدنيا والآخرة عدوان متفـاوتان ، وهمـا بعد ضرتـان »(٥) ، فمن يسعى إلى الآخرة لا بد له من أن يطلق الدنيا أو يزهد بها .

« والناس أبناء الدنيا (الدنيا أم) وهل يلام الرجل على حب أمه ؟ »

وقـد استـطعت من خــلال شرح النصـوص حـول « المـرأة في نهج البـلاغة » أن أرد بعض الإعتبـار للمـرأة ، تجـاه من يقـولـون أن أحـاديث الإمام علي حول المرأة في نهج البلاغة إنّما هي لمصلحة الرجل ، بل لشدّ ما كان سروري وأنا أرى أصابع الإتهام تشير إلى الرجل بـأنه هـو سبب تخلف المرأة وبقائهـا في هذا الـواقع الأليم الـذي تتخبط بـه دون أن يمـد لهـا يـد المساعدة ، أو يحاول استنهاض الخير فيها لمصلحة الأمة الإسـلامية ، فـالأم الصالحة هي عنوان المجتمع الصالح ، بل هو نتـاج تربيتهـا ، لذلـك يقول

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ١/١١٨ الخطبة ٧١ .
(٢)(٣) الري شهري : ميزان الحكمة ١٠٧/٩ .
(٤) محمد عبده : م . س ١٥٢/٣ .
(٥) محمد عبده : نهج البلاغة ٣/ ١٥٩ .

الإمام علي (عليه السلام) : « كونوا من خيارهن على حذر » ، لما في هذا الحذر من مصلحة إجتماعية كبيرة .

وإن أي تقصير للمرأة هو محسوب أولاً على الرجل ، لأنه مسؤول عن تخلف المرأة باعتبار أن الإسلام أعطاه حق القوامية لرفع شأن المرأة لا لذلها وإبقائها رهينة الجهل والتخلف ، لأن أي مشروع حضاري يبقى ناقصاً إذا ما كان نصفه بعيداً عن ركب المسيرة .

والرجل بتمسكه بمبادىء وتقاليد الجاهلية الأولى بتحقير المرأة وإشعارها بدونيتها يكون قد أساء للأمانة التي أعطاه الله إياها وهي قواميته على المرأة لرفع شأنها لا لذلها وتعسفه باستعماله حقّه بالإساءة للمرأة وإقصائها عن مرتبتها في المجتمع الإنساني .

ويأتي بعد الرجل ، المجتمع الإنساني الذي يساهم في تخلف المرأة بظلمه لها وحرمانها من أبسط حقوقها التي أعطاها لها الإسلام والتغاضي عن إنتهاكات الرجل لحقوق المرأة ، بل ومباركاً ذلك .

والمرأة هي أيضاً مسؤولة عن تخلفها ، حيث أنّ المرأة الضعيفة المتخلفة تشكل أفضل وسط لممارسة الرجل لسلطته وظلمه لها ، ولا يمكنها أن تثور لنفسها وتتهيأ للمطالبة بحقوقها إلّا إذا تسلّحت بالثقافة والوعي الإسلامي والإجتماعي ، وعرفت أن لها حقوقاً أعطاها لها الإسلام ، فيجب أن تتعامل مع حقوقها بشكل إيجابي كما تفرض على المجتمع أن يرفع من نظرته الدونية إليها .

فالمرأة نصف المجتمع تتكامل مع الرجل كما يتكامل هو معها ، وبالتالي فلا معنى لإسرافه في استعمال حقه عليها ، فما تريده المرأة من الرجل يريده الرجل من المرأة وكل منهما بحاجة إلى الآخر ، فالمرأة بحاجة إلى الرجل كما أن الرجل بحاجة إلى المرأة وعملية الإحتياج متبادلة ، ولذلك فإنّ المطلوب من الرجل هو إفساح المجال للمرأة لتساهم في عملية

التغيير للأفضل من الموقع الإنساني الواحد: ﴿**يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً ونساءً**﴾ (النساء/١) .

وأي مجتمع يتحرك فيه الرجل هو مجتمع مبتور وكذلك فيما لو تحركت المرأة منفردة :

﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ (النساء/٣٢) .

لذلك نرى الإمام علي (عليه السلام)، ومن خلال النص يوصي الرجل باختيار المرأة الخيرة لأن المجتمع الإنساني فيه الخير والشر وإن الحالتين كلتاهما تنبعان من موطن المرأة التي تربت به لذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« إيّاكم وخضراء الدمن ، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء »[1] .

كما أوصى الإمام علي (عليه السلام) الرجل بالإحسان إلى المرأة ومعاشرتها بالمعروف .

ويوصي الإمام (عليه السلام) بالمرأة من خلال نهج البلاغة فهي المخلوقة الضعيفة التي لا يجوز تحميلها أكثر من طاقتها ، بل إن سترها ووقايتها وحفظها والغيرة عليها ـ وليس التغاير في غير موضع غيره ـ ومحبتها هي من صفات الرجل المؤمن :

« .... وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية

---

(١) الطبرسي : مكارم الأخلاق ٢٠٣ .

بالقهر والضراوة . . . فيعير به وعقبه من بعده »[١] .

وهذا تأكيد لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أيضرب أحدكم المرأة ثم يظل معانقها »[٢] .

وإن كنا نرى بعض الخصوصيات من بعض التوصيات السلبية في وجهة النظر حول عدم مشورة المرأة ، وغيرة المرأة وأنها الفتنة والشر وما إلى ذلك فذلك بعيد عن واقع المرأة المؤمنة الواعية لدورها ، والمثقفة ، المتعلمة التي تزن الأمور بعين الحكمة والروية ، ولا يخص سوى المرأة المستهترة بدورها ، الجاهلة بأمور دينها ودنياها ، هذه المرأة التي نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مقاربتها قائلاً : « اختاروا لنطفكم فإن العرق دساس . . . وتزوجوا في الحجز الصالح فإن العرق دساس »[٣] .

وإن قمة إعادة الإعتبار للمرأة تمثلت في قول الإمام علي (عليه السلام) :

« ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن ذلك أنعم لحالها ، وأرخى لبالها ، وأدوم لجمالها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة »[٤] .

أجل إن « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة » فلا يثقل كاهلها المجتمع بمهمات جسام تنوء بحملها وتخرجها من طور الحب والحنان والحضن الدافىء للزوج والأسرة ، إلى مجتمع التقنية والآلة ، تحت شعارات المساواة المزيفة ، فخسرت المرأة نفسها وزوجها وبيتها ولم يربح المجتمع منها شيئاً وإن كان قد استغلها في مجالات دعائية مبتذلة فقد خسرها كإنسانة وكامرأة باحتقاره لها وتسخيرها .

---

(١) محمد عبده : نهج البلاغة ٣ : ٦٢، ٣١٤ .
(٢) الكليني : الفروع من الكافي ٥ / ٥٠٧ .
(٣) الطبرسي : مكارم الأخلاق ١٩٧ .
(٤) محمد عبده : م . س ٣ : ٤١٦ .

ولذلك فإن الإسلام أراد للمرأة أن تكون سيدة بيتها فتحتل مكانتها الأصيلة في الحياة ، هذه المكانة التي تحفظ لها هيبتها وتعطيها الدور الإنساني الكبير كزوجة وأم تربي الأجيال .

فقد أراد الإسلام للمرأة أن تكون زوجة يأنس بها الزوج ، تشاركه أفراحه وأتراحه ، وتهبه السعادة والمتعة وتكون له سكناً وأنساً ومودة :

﴿ ومِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُم أزوَاجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْها وجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَةً ورَحْمَةً ﴾ (الروم/٢١)

كما أرادها أماً حانية رؤوفة ومربية فاضلة واعية ، تربي أطفالها على الخير والهدى والإيمان وحب الله ، لأن الأم الصالحة أُمَّة صالحة فهي الأم والمرشدة والمربية والمعلمة والموجهة ، ولذلك يركز الشرع الحنيف على التربية الإسلامية للمرأة وإعدادها إعداداً صحيحاً للقيام بدورها الذي خصها الله بها ، ومقاومة كل مغريات الحياة ومفاتنها بإيمان وصلابة :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وللرجل دوره في المجتمع ومهمته في الأسرة ، فهو من خلال قيمومته مطالب بالسعي وراء رزقه ورزق عياله ، والجهاد في سبيل الله . . . وحب النساء في الحدود المشروعة في ما يرتبط بهذا الحب .

ولا يعني هذا أن ترضى المرأة بالتخلف ، ولكن أن تعرف المرأة كما يعرف الرجل أن لكل منهما دوره الذي يجب أن يحفظه بدقة ولا يتجاوزه للخلاص من ازدواجية الأدوار وطغيانها بعضها على الآخر ، ومن الإزدواجية الشخصية .

وإن صرخة غورباتشوف الأخيرة في (البروسترويكا) بإعادة تصحيح الخلل الذي طرأ على المساواة بين المرأة والرجل « من أجل إستعادة المرأة لدورها الأنثوي الحقيقي بالكامل » لخير شهادة ودليل على فشل النظام

الشيوعي وغيره بمقولته بمساواة المرأة وإخراجها للعمل . وفي هذا عودة للدور الأصيل للمرأة الذي وجدت من أجله ـ وهو دورها كزوجة وأم وسيدة مجتمع لها اعتبارها وكرامتها ـ لا أن تكون سلعة في الدعايات المبتذلة كما نشاهد ذلك في وسائل الإعلام الرأسمالية .

فدور المرأة المسلمة أن تحافظ على عفتها وشرفها وكرامتها ، فلا تكون موضعاً للإبتزاز والغواية والفتنة ، فتتجنب الإختلاط (إلا في مجالات العلم والمنفعة وبشرط عدم تجاوز الحدود الشرعية) فالإختلاط أصل الفتنة ، وكما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما خلا رجل بامرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما » ، والإبتعاد عن الإختلاط يقطع دابر الشيطان الذي هو طريق الإنحراف .

وليس أدل على ذلك من الإنحرافات الجنسية التي تصيب المجتمع الرأسمالي المبتلى بالإختلاط ، وما نتج عنه من إباحية الصلات الجنسية مما تشمئز منه النفوس وما نتج عن هذه الإباحية المبتذلة من أمراض جنسية معدية ومميتة ليس آخرها مرض «الإيدز» أو فقدان المناعة الذي أصاب معظم المجتمعات الغربية والذي لا يترك صاحبه (أي الإيدز) حتى يموت أبشع ميتة في أبشع صورة وفي هذا عقاب من الله سبحانه وتعالى على ارتكابهم الفحشاء والمنكر وإباحتهم الجنس بشتى أنواعه فحق عليهم العذاب كما حقّ من قبلهم على قوم لوط : ﴿ **إذ قالَ لهُم أخوهم لُوطُ ألاَ تَتقُونَ ، إنِي لَكُم رسُولٌ أمين ، فاتّقُوا الله وأطيعُونِ ، وما أسألُكُم عليهِ من أجْرٍ إنْ أجرِيَ إلاّ على ربِّ العالمينَ ، أتاتونَ الذُّكْرَانَ من العالمين ، وتَذرونَ مَا خَلَقَ لَكُم ربُّكُم من أزواجِكُم بَلْ أنتُم قومٌ عادُون ، قَالوا لئن لم تنته يا لوطُ لَتَكُونَنَّ من المُخرَجِين ، قالَ إني لِعَمَلكُم منَ القَالِينَ ، ربِّ نَجِّني وأهْلي مِمَّا يَعْمَلُونَ فَنَجَّيْنَاهُ وأهلَهُ أجْمَعِينَ إلاّ عجُوزاً في الغَابِرينَ ، ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ وأمْطَرنَا عَلَيهِم مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذِرِينَ** ﴾ .

(الشعراء ١٦١ ـ ١٧٣)

وإن نظرة إلى واقع المرأة الغربيـة المقيت يجعلنا نحمـد الله على نعمـة الإسـلام ، فنبتعد عن التقليـد الأعمى للحضارة الغـربية المـزيفة وأزيـائها المصروعة ومساحيقهـا وعطورهـا الفتّانـة ، وإنّ من يقرأ يجـد الألم من هذه الممارسة الخاطئة لمفهوم الحضارة على ألسنة عقلاء الغرب وفي كتـاباتهم فقـد تنبه هؤلاء العقلاء وحاولوا إعادة المرأة إلى أصالتها وطالبوهـا بالعفـة بعدمـا اكتشفوا زيف التحرر الذي يقصد بـه ، ولك أختي المـرأة المسلمة في وصيـة ممثلة الإغراء والفتنة والفساد مارلين مونـرو خير شـاهد عـلى زيف ادعاءات الغرب حول الحضارة المزعومة ، فقد بهرت هذه الممثلة الأضواء ثم وجدت نفسها وحيدة فانتحرت تاركة وصية مهمة لكل امرأة تقول فيها :

« إحذري المجد ، إحذري ما يخدعك بالأضواء . . إني أتعس إمـرأة هلى هذه الأرض ، لم أستطع أن أكون أماً . إنّي إمرأة أفضل البيت ، الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمـز سعادة المـرأة بل الإنسانية ، لقد ظلمني الناس ، وإن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة » .

وبعـــد . . . .

همسـة للأخت المرأة ، بأنه مهما بلغ بها المقام والغنى والثقـافة والعلم يجب أن لا تنسى حقيقتها بأنّها إمرأة ، وأن لا تتجاوز سلطتهـا الممنوحـة لها من الإله ، فتتصدى لقيادة دفّة البيت والمجتمـع وقد أثبت التـاريخ فشلهـا بـالولايـة والإمارة فتقـع في الشرك المنصوب لهـا فتنحرف في تيـار الحضـارة الآليـة الذي يعيق ممـارستها لـدورها الأنثـوي الحضـاري في سبيـل إنجـاح الأسرة المسلمة التي يهدف إليها الإسلام ، دون أن يعني ذلـك الإمتناع عن مشورتها والإستعانة برأيها وطاعتها في المعروف لأنه المعروف .

وأخيراً فإن المرأة مسؤولة بوعيها عن حسن اختيارها ، فإذا كانت متفهمة منطلقة لمستقبل أفضل وكانت طموحة ، فعليها أن تختار من تراه قابلاً لاستيعاب هذا الطموح ومشجعاً ومسهلاً لها انطلاقتها وطرق المشاركة في عملية التغيير للأفضل فكما أن الرجل العاقل والمسؤول يساهم في تطوير زوجته وإعلاء شأنها ، وتنميتها فكرياً وحضارياً وثقافياً وإجتماعياً وسلوكياً ، فكذلك المرأة يمكن أن تساهم في تطوير الرجل فكرياً وعملياً ، وبهذا فإنه لا يمكن لأحدهما تجاهل الطرف الآخر .

وكذلك يمكن للرجل أن يعطي الفرصة لزوجته لتتفاعل مع المجتمع ، فتتأثر وتؤثّر ، وتشارك في مسيرة الحضارة ، دون أن يستعمل الرجل قواميّته على المرأة بالتحجير عليها وإقصائها عن دورها ،ودون أن تسيء المرأة أيضاً لحريتها فتستعملها في ما يسيء إلى الرجل أو في أمور لم تدخل في حسبانه عندما أعطاها الإذن فتهدم دون أن تساهم في عملية البناء في مسيرة الحياة ، ولأن الدور الأساسي للمرأة هو في حسن تبعلها لزوجها ومحافظتها على بيتها ، وهذا لا يكون إلاّ بالوعي والفكر ، لدى المرأة والرجل معاً ومعرفة كل منهما لحقيقة الدور الإنساني المكلف به .

والمرأة في معركة التحدي لإثبات وعيها وجدارتها لممارسة دورها الحضاري ، في المشاركة في مسيرة التغيير الإجتماعي ، ولتثبت أنها أصيلة وليست دخيلة في هذه العملية .

فهل تستطيع ذلك ؟

﴿ وَقُلْ اعمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلكُم وَرَسُولُهُ والمُؤْمِنُون ﴾ .

(التوبة/١٠٥)

ففي داخل الأسرة الرجل هو القائد ، والمرأة هي سيدة بيتها ، فإن كانت مثقفة واعية متعلمة تدرك أبعاد الأمور وتقدر عواقبها، وتسعى جهدها

بحسن تبعلها بنشر المحبة والوئام في البيت، وتربي أولادها خير تربية فهي أهل للرأي والمشورة وهي نعمة من الله على الرجل وعلى المجتمع وما على الرجل سوى الحفاظ عليها وصيانتها ، وهي الجوهرة الثمينة ، التي يجب على الرجل أن يكون بالمستوى اللائق بحيازتها . وأن تعرف المرأة أن كيانها وعزها ووجودها لا يكون إلاّ في ظل الزوج ورعايته وحمايته دون تميزها أو تفوقها عليه ، وصولاً إلى المرأة الأنثى ، والإنسانة الكاملة التي أرادها الإمام علي (عليه السلام) من خلال « المرأة في نهج البلاغة » .

والحمد لله رب العالمين

فتحيــة مصطفى عطــوي

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- نهج البلاغة .

- ابن أبي الحديد : عز الدين أبو حامد بن هبة الله ابن أبي الحديد المدائني .

١ - شرح نهج البلاغة ، ط دار إحياء الكتب العربية ط ٢ - ١٣٨٥هـ/١٩٦٠م .

- ابن كثير : الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي .

٢ - البداية والنهاية ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- ابن شهر آشوب :

٣ - مناقب آل أبي طالب - المطبعة العلمية - قم .

- أبو زهرة : محمد .

٤ - تاريخ المذاهب الإسلامية - دار الفكر العربي ، مصر ١٩٨٩م .

- الآمدي : عبد الواحد الآمدي التميمي - (من أعلام القرن الخامس الهجري) .

٥ ـ غـرر الحكم وجوامـع الكلم ـ ومجموعـة من كلمات وحكم الإمام عليـه (عليه السلام) .
صححـه وأشرف على طبـاعته الشيـخ حسن الأعلمي ـ مؤسسـة الأعلمي ـ ط ١/ ١٤٠٧هـ/١٩٨٣م .
ـ الأمين : محسن .
٦ ـ أعيان الشيعة ـ ط دار التعارف ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
ـ الأمين : محسن .
٧ ـ المجالس السنية ـ دار التعارف ـ بيروت ١٣٩٤ .
ـ الأميني : عبد الحسين الأميني النجفي .
٨ ـ الغـديـر في الكتـاب والسنـة والأدب ـ دار الكتـاب اللبنـاني ط ٥ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
ـ البحـراني : كـمال الـدين ميثم بن عـلي بن ميثم البحـراني المتـوفى سنـة ٦٧٩هـ .
٩ ـ شرح نهج البلاغة ، مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت .
ـ البخاري : محمد بن إسماعيل .
١٠ـ صحيح البخاري : ط دار الجيل لات ـ لاط .
ـ الـترمـذي : أبي عيسى محمـد بن عيسى بن سـورة الـترمـذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ)
١١ ـ سنن الترمذي ـ تحقيق أحمد محمد شـاكر ـ دار إحيـاء التراث العـربي لاط ـ لات .
ـ الترمانيني : د . عبد السلام .
١٢ ـ الزواج عند العرب في الجاهلي والإسلام (دراسة مقارنة) عالم المعرفة ع ٨٠/ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ الكويت .
ـ الحر العاملي : محمد بن الحسن .
١٣ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ـ تحقيق الشيخ عبد الرحيم

الـربـاني الـشـيرازي دار إحيـاء الـتراث الـعـربي ـ بـيروت ط ٥/ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
ـ الحموي : ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي .
١٤ ـ مـعـجـم الـبلدان ـ دار إحيـاء الـتراث الـعـربي ـ بـيروت ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
ـ الخطيب : السيد عبد الزهراء الحسيني .
١٥ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده ـ ط دار الزهراء ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
١٦ ـ مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ ط ٥/ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
ـ الخميني : آية الله روح الله الخميني الموسوي (قده) .
١٧ ـ الوصية الخالدة إلى الأمة الإسلامية ـ ط دار التعارف ـ بيروت .
ـ الخوئي : آية الله السيد أبو القاسم .
١٨ ـ منهاج الصالحين ـ دار الزهراء ـ ط ٢٢ .
ـ الخوئي : ميرزا حبيب الله .
١٩ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
ـ الري شهري : محمد .
٢٠ ـ ميزان الحكمة ـ الدار الإسلامية ١٤٠٥هـ/١٩٨٠م .
ـ شرف الدين : السيد عبد الحسين .
٢١ ـ المراجعات : الدار الإسلامية ط ٣ ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
ـ الشهرستاني : السيد هبة الدين الحسيني .
٢٢ ـ ما هو نهج البلاغة ؟ مطبوعات مكتبة إعتماد الكاظمي ـ النجف الأشرف ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م .
ـ الصدر : محمد باقر
٢٣ ـ فدك في التاريخ ، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت .

- الطبرسي : أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (من أعلام القرن السادس الهجري) .
٢٤ - الإحتجاج : تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الموسوي الخرسان ، منشورات الأعلمي - ط ٢ - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- الطبرسي : رضى الدين أبي نصر الحسن بن الفضل (من أعلام السادس الهجري) .
٢٥ - مكارم الأخلاق - قدم له وعلق عليه محمد الحسين الأعلمي - منشورات الأعلمي - بيروت ط ٦/ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير .
٢٦ - تاريخ الأمم والملوك - دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- الطباطبائي : محمد حسين .
٢٧ - الميزان في تفسير القرآن - منشورات الأعلمي - بيروت ط ٥ - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- عبده : محمد .
٢٨ - نهج البلاغة مؤسسة الأعلمي - بيروت - لات - لاط .
٢٩ - علي بن أبي طالب : نظرة عصرية جديدة.
- منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢/ كانون الثاني ١٩٨٠ - بيروت .
- القبانجي : حسن السيد علي .
٣٠ - شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين ، زين العابدين (عليه السلام) ، دار الأضواء - بيروت - ط ٢/ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- الكليني : محمد بن يعقوب .
٣١ - الأصول من الكافي صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري - دار الأضواء - بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- المسعودي : أبي الحسن علي بن الحسن بن علي .

٣٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، توزيع عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة ـ دار المعرفة ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م .

ـ مسلم : الحجاج القشيري .

٣٣ ـ صحيح مسلم ـ دار الكتب العربية ـ بيروت لات ـ لاط .

ـ مطهري : مرتضى .

٣٤ ـ نظام حقوق المرأة في الإسلام ، ط دار التعارف ط ١/ ١٩٨٦م .

ـ المظفر : محمد رضا .

٣٥ ـ عقائد الإمامية ـ دار الحوراء ـ بيروت ـ ط ٧/ ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

ـ معروف : د . نايف .

٣٦ ـ الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ـ دار النفائس ط ١/ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

ـ مغنية : محمد جواد .

٣٧ ـ في ظلال نهج البلاغة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط ٣ ١٩٨٨م .

المجـــلات والمقـــالات

ـ الأشتر : عبد الكريم .

٣٨ ـ « موقف أمير المؤمنين(عليه السلام) من المرأة » : مجلة الغدير ع ٨و٩ ربيع الأول ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، تصدر عن المجلس الشيعي الأعلى ـ بيروت .

ـ خازم : علي

٣٩ ـ « وقفة مع المرأة في نهج البلاغة » : مجلة المنطلق ع ٦٠ ربيع الثاني ١٤١٠هـ/ تشرين الثاني ١٩٨٩م ، بيروت .

ـ فضل الله : محمد حسين .

٤٠ ـ « شخصيـة المـرأة القـرآنيـة » : مجلة المنـطلق ع ٦٠ ربيـع الثـاني ١٤١٠هـ/تشرين الثاني ١٩٨٩م ـ بيروت .
ـ العلي : رباب أو فتحية عطوي .
٤١ ـ همسات إلى المؤمنة : كيف تسعدين زوجك . المؤمنة : ع ٦٣ ، أخي المؤمن : هل أنت أهل للسعادة . المؤمنة ع ٦٧ .
مجلة المؤمنة : مجلة إسلامية نسائية ـ تربـوية ـ تصـدر كل شهـرين مؤقتاً عن رابطة المرأة المسلمة في العراق ـ بيروت .

المحتويـات

الإهـداء .... أ

المقدمة بقلم سماحة العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله ٥

مقدمـة المؤلف ١١

قبـل الكلام ١٥

البـاب الأول : نهج البلاغة ١٧

ما هو « نهج البلاغة »؟ ١٧

ملامح من شخصية الإمام علي (ع) ٢٣

من جمع « نهج البلاغة »؟ ٢٩

شبهات حول « نهج البلاغة » وردها ٣٥

الشبهات حول « نهج البلاغة » ٣٥

الرد على الشبهات ٣٨

ـ الشبهة الأولى (النهج مكذوب) ٣٨

ـ الشبهة الثانية (خلو النهج من الأسانيد) ٤٢

ـ الشبهة الثالثة (رصيد الخطب لغير الإمام (ع)) ٤٥

ـ الشبهة الرابعة (كثرة الخطب وطولها) ٤٩

ـ الشبهة الخامسة (شبهة الإنباء بالغيب) ٥٠
ـ الشبهة السادسة (المحسنات اللفظية) ٥٣
ـ الشبهة السابعة (الصيغ الفلسفية).............. ٥٥
ـ الشبهة الثامنة (الصحابة في الشقشقية).............. ٥٧

الباب الثاني : المرأة في ميزان الإمام علي (ع) ٦٣
المرأة في نهج الإمام علي (ع).............. ٦٣
مكانة المرأة في الإسلام ٦٤

المرأة في حياة الإمام علي (ع) ٧٧
فاطمة بنت أسد ٧٨
خديجة بنت خويلد (ع) ٧٩
فاطمة بنت محمد (ع) ٨٠

كيف ينظر الإمام علي (ع) إلى المرأة ٩٣
المرأة ونقصان العقل ٩٥

المرأة والفتنة ١٠٣
كيف تعامل الإمام مع المرأة الفتنة ؟ ١٠٩
المرأة والعاطفة ١١٧
المرأة في الحب والبغض ١١٧
المرأة والغيرة ١٢٤
المرأة والزينة والإفساد ١٢٧

أسلوب التعامل مع المرأة في نهج الإمام علي (ع) ١٣١
المرأة والمشورة ١٣٢
المرأة والحجاب وعدم الإختلاط ١٣٣
المرأة ريحانة ١٣٧
المرأة وتغاير الرجل ١٤٠

المرأة وحسن التبعل ١٤١
حق الزوج على الزوجة (أو حسن التبعل) ١٤٢
حق الزوجة على الزوج (أو حسن المعاشرة) ١٤٧
المرأة وخيار الخصال ١٥٠

نصوص أخرى حول « المرأة في نهج البلاغة » ١٥٣
النص الأول : هل المرأة أصل الغواية ١٥٤
المرأة شر وتفسير الشرّاح ١٥٦
النص الثاني : وشرحه (المرأة عقرب حلوة اللبسة) ١٥٨
النص الثالث : وشرحه (أعذبوا عن النساء) ١٦١

خاتمة واستنتاجات في بحث « المرأة في نهج البلاغة » ١٦٣
كيف وصف الإمام علي (ع) المرأة في نهج البلاغة ١٦٤
أ ـ المرأة والعقل ١٦٤
ب ـ المرأة والفتنة ١٦٥
المرأة والعاطفة ١٦٦
خلاصة القول وآراء خاصة ١٦٧
التعاون الجدي بين الرجل والمرأة ١٧٦
المصادر والمراجع ١٧٩
المجلات والمقالات ١٨٣
المحتويات ١٨٥

صف حروف وتركيب وإخراج فني وطبع في الدار الإسلامية
حارة حريك - تلفون : ٨٣٥٦٧٠ ص ب : ٢٠٩ / ٢٥
كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر ط ٢ - تلفون : ٨١٦٦٢٧
ص ب : ١٤.٥٦٨٠